دير القديس أنبا مقار
برية شيهيت

الخلقة الجديدة للإنسان
في الإيمان المسيحي

الأب متى المسكين

دير القديس أنبا مقار

برية شيهيت

الخلقة الجديدة للإنسان

في الإيمان المسيحي

الأب متى المسكين

كتاب: الخلقة الجديدة للإنسان
في الإيمان المسيحي.
المؤلف: الأب متى المسكين.
الطبعة الأولى: ١٩٩٧.
(مقالات سبق نشرها في مجلة مرقس عامي: ١٩٩٦ و١٩٩٧. أما مقال: "قيامة المسيح إعلان ميلاد الخليقة الجديدة في الإيمان المسيحي"، فقد سبق نشره في كتاب: "القيامة والصعود" بعنوان: "القيامة والعمل الروحي بالنسبة للخليقة الجديدة").
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٨٣٤١ / ٩٧
رقم الإيداع الدولي: 977-240-058-8
مطبعة دير القديس أنبا مقار ـ وادي النطرون.
ص. ب ٢٧٨٠ ـ القاهرة.

المحتويات

صفحة

مقدمـــة

◆◆◆◆◆

حينما نتكلّم عن ميلاد المسيح وموته وقيامته، فنحن نتكلّم عن أمور حدثت فينا ولنا.

لأن قولنا إن المسيح قد وُلِـد، هـذا يعـني لاهوتيـاً أن الكلمـة ابـن الله أخـذ جسداً لنفسه من العذراء القديسة مريم. وقد اصطفاها عـذراء وقديسـة لتكـون عيِّنة البشرية التي أخذها لنفسه طاهرة ومقدَّسـة، ثـم أنهـا حملـت مـن "الـروح القدس"، فتبيَّن أن المولود منها هو "ابن الله" حسب قول الملاك.

ولكن شخص الكلمة ابن الله غير محدود، بل هو مطلـق وطبيعتـه لانهائيـة. لذلك لمّا أخذ جسده من العذراء واتّحـد بـه، نـال الجسـد صفـات ابـن الله في اللامحدودية. هذا بالذات يجعلنا نفهم أن الجسد الذي أخذه المسيح مـن العـذراء القديسة مريم والروح والقدس، هو أكـثر مـن أن يكـون جسـداً محـدوداً لفـرد واحد، إذ حُسِبَ أنه جسد يضم ويجمع في ذاته البشرية كلها.

لذلك لَمَّا صُلِب المسيح وهو حامل خطايانا، قال بولس الرسول إننـا صُلِبنـا معه جميعاً، ولَمَّا مات قال إننا متنا جميعاً معه، ولَمَّا قام قال إننا قمنا جميعاً معه، ولَمَّا جلس في السماء قال إننا جلسنا معه في السموات.

كل هذا منبعه سر التجسُّد العجيب لأن طبيعـة اللاهـوت فيـه اتّحـدت بطبيعـة الناسوت فينا، فصار للمسيح كل ما لطبيعة اللاهوت الذي له من صفات وكـل مـا لطبيعة الناسوت فينا من الصفات بآن واحد ـ طبيعة واحدة لشخص واحد ـ دون

امتزاج ولا افتراق ولا تغيير.

هذا يعني أن المسيح احتوى البشرية كلهـا في ذاتـه بميـلاده العجيـب، وهـذا تسحَّب بالضرورة على الصليب والآلام والموت والقيامة. فنحن كلنا صُلبنا معه وهو صُلِب معنا، وذلك من أجلنا، لأن الموت والآلام والعقوبة هي مـن نصيبنـا ومن استحقاقنا نحن، وهي ليست لائقة به بتاتاً؛ فهو القدوس الطاهر الذي بـلا خطية، أما نحن فقد نلنا من آدم طبيعتنـا البشـرية وفيهـا نصيـب اللعنـة والمـوت الأبدي كميراث للخطية.

هـذا الموت وهـذه اللعنة في هذه الطبيعة رفعها المسيح عنا بموته وقيامته كما يقول بولس الرسول: «الله الذي هو غني في الرحمة، من أجل محبته الكثيرة الـتي أحبنا بها، **ونحن أموات بالخطايا أحيانا مع المسيح** ـ بالنعمة أنتـم مخلَّصـون ـ وأقامنا معه، وأجلسنا معه في السماويات في المسيح يسـوع» (أف ٢: ٤ ـ ٦)، أي أننا قد انتقلنا من طبيعة ميِّتة بالخطية في آدم إلى طبيعة حيَّة بالبر في المسـيح. هذا هو موضوع إيماننا وفخر رجائنا، لأنها عطية موهوبة مجاناً يتحتَّـم علينـا أن نقبلها بفخر وثقة . اسمع بقية القول: «لِيُظْهِرَ في الدهور الآتية غِنَى نعمته الفائق باللطف علينا في المسيح يسوع. لأنكم بالنعمة مخلَّصون، بالإيمان، وذلـك ليـس منكم، هو عطية الله. ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد.» (أف ٢: ٧-٩)

ويقول بولس الرسول، معتبراً أن المسيح مات وهو يحتـوي كـل البشـرية في جسده، هكذا: «إن كان واحد قد مـات لأجـل الجميـع، فـالجميع إذاً مـاتوا.» (٢كو ٥: ١٤).

يُلاحَظ هنا أن المسيح ليس واحداً كأي واحد، بل هـو واحـد كلِّـي مطلـق بلاهوته الذي أضفى على الجسد هذه الكلِّية المطلقة الفائقـة. فـأصبح كـل مَـنْ يؤمن بالمسيح يكـون قـد مـات معـه وقـام، أي استوفى عقوبـة آدم وتـبرَّأ مـن

الخطية، ونال القيامة التي هي حالة الإنسان الجديد في المسيح المعتبَرَة خليقة جديدة؛ لأن الكل يموت مع المسيح وهو بحال الإنسان العتيق، والكل يقوم في المسيح وهو بحال الإنسان الجديد: «أحيانا مع المسيح... وأقامنا معه.» (أف ٢:٥و٦)

ويعلل بولس الرسول ذلك بقوله: «من أجل محبته الكثيرة التي أحبَّنا بها» و"بمقتضى غِنَى رحمته". فنحن الذين حُسِبنا أمواتاً موتاً أبدياً بمقتضى الذنوب والخطايا، صرنا بالإيمان الذي هو عطية الله وليس من أعمالنا، أحياءً الآن مع المسيح حياة أبدية وبحال القيامة كخليقة جديدة داست معه الموت والخطية.

هذا هو إيماننا المسيحي، الذي بتمسُّكنا به في ثقة، تسري فينا قوة وروح الإنسان الجديد، لنعمل ونشهد بصدق الله ومحبته.

(يونية ١٩٩٧)

خلقة الإنسان الأولى من تراب الأرض وخلقته الثانية من فوق

+ «إن كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة.»
(٢كو ٥:١٧)

□♦●♦□

الخليقة الأولى من تراب الأرض:

+ «وقال الله: نعمل الإنسان **على صورتنا كشبهنا**... فخلق الله الإنسان على صورته، **على صورة الله خلقه، ذكراً وأُنثى خلقهم**. وباركهم الله وقال لهم: أثمروا واكثروا واملأوا الأرض وأخضعوها وتسلَّطوا...» (تك ١:٢٦–٢٨)

+ «وجَبَلَ الرب الإله آدم تراباً من الأرض، **ونفخ في أنفه نسمة حياة، فصار آدم نفساً حيَّة.**» (تك ٢:٧)

+ «وقال الرب الإله: ليس جيداً أن يكون آدم وحده، فأصنع له مُعيناً نظيره... فأوقع الرب الإله سُبَاتاً على آدم فنام، فأخذ واحدة من أضلاعه وملأ مكانها لحماً. وبنى الرب الإله الضِّلْع التي أخذها من آدم امرأة وأحضرها إلى آدم. فقال آدم: هذه الآن عظمٌ من عظامي ولحمٌ من لحمي، هذه تُدعى امرأة لأنها من امْرِءٍ أُخِذَتْ.» (تك ٢:١٨و٢١–٢٣)

الذي يهمنا من هذه القصة، قصة الخلق الأول للإنسان، أن الإنسان خُلق أولاً من تراب الأرض، وقد نفخ فيه الله نسمة حياة من **عنده** أو من **فِيْهِ**،

فصار آدم نفساً حيَّة. بمعنى أن آدم هو "نفسٌ" من الله حيَّة في جسد أصله من تراب الأرض، أي أن آدم مكوَّن من نفس وجسد ترابي، وهذه النفس هي التي نسميها "روح". وباختصار نقول إن الإنسان في آدم ـ كل إنسان ـ روح وجسد. ولكن واضح أن الروح من الله، لذلك ينبغي أن نقول إن الإنسان هو روح أهم من أن يكون جسداً، خاصةً أن الجسد هو من تراب الأرض، أما الروح فمن الله.

كذلك من الواضح أن تكون النفس أو الروح في الإنسان هي التي خُلِقت على صورة الله كشبهه. ومن البديهي أنها كانت كذلك يوم خلِقت، ولكن بعد أن أوقع الله العقوبة على الإنسان وأخذ اللعنة، تمزَّقت الصورة واختفى الشبه، هذا بالنسبة للنفس أو الروح.

على أن علاقة التراب الذي صار حيًّا (كجسد للإنسان) بالروح التي كانت على صورة الله كشبهه، كانت **كالطبعة بالنسبة للأصل** أو الصورة بالنسبة للجوهر. فكان الجسد يحمل صورة النفس[1]، ولكن لَمَّا سقط آدم وتمزَّقت صورة الله التي لنفسه وضاع الشبه، تغيَّرت طبعة الجسد وتشوَّهت الصورة جداً حتى أصبح لا يُرى في صورة الجسد للإنسان أية ملامح من عند الله، خصوصاً لو ارتقينا بمعنى الصورة من حيث البهاء والمجد والحكمة والهيبة والقداسة. ولهذا انقطعت مع الله وشائج المحبة والأُلفة والصداقة والطاعة المطلقة ومعها الحكمة والقداسة والبرارة. وذهب الإنسان غريباً وحيداً بائساً يَنْعى حظَّه على الأرض بدون الله، وعرف معنى الخطية والعصيان ومعاداة الله.

---

(١) لذلك معروف في علم الباراسيكولوجي أن النفس أو الروح لَمَّا تغادر الجسد تظل تحمل صورة الإنسان بدقة، فهي أصل الخليقة. لذلك يسميِّها العلماء الأرشتيب archetype، فهي الجوهر، أما الجسد فهو الصورة. والصورة زائلة، أما الجوهر فباقٍ.

الخليقة الثانية من فوق:

ولكن الله خلق الإنسان أصلاً ليكون له حبيباً وصديقاً كخليقة تسبِّحه وتمجِّده، وتبنَّاها لتبقى عنده دائماً. فلما سقط آدم وطُرد من أمام وجه الله وعاد إلى الأرض التي منها أُخذ جسده «لأنك تراب وإلى تراب تعود» (تك ٣:١٩)، صمَّم الله أن ينفِّذ خطة خلقته الأولى للإنسان، وبدأ يعمل على **إعادة خلقته** (الميلاد الثاني)، ولكن على الأساس الذي لا يمكن أن يخطئ فيه الإنسان للموت أو يعصاه أو يموت أو يفترق عنه. فهذه المرة صمَّم أن يخلقه، لا على صورته كشبهه فقط، بل **من روحه وجسد ابنه بحال قيامته من بين الأموات خَلَقَه**؛ وليس من تراب الأرض، بل من روحه ومن برِّه وقداسته في الحق! ليليق هذه المرة أن يحيا أمامه في القداسة بلا لوم في المحبة يمدح مجد نعمته إلى أبد الآبدين.

ولقد اكتشف القديس بولس ـ كما استُعلن له من أسرار الله عن خلقته للإنسان ـ أن هذه الخلقة الروحية التي قصدها الله أن تكون من طبيعة ابنه بحال قيامته من بين الأموات كانت قائمة في تدبير الله قبل أن يخلق الإنسان من تراب الأرض، بل وقبل أن يؤسِّس العالم المادي؛ وأن خلقة الإنسان من تراب الأرض لم تأتِ كخطأ في حسابات الله، بل كدرجة أولى في الخلق يتدرَّج فيها الإنسان من خليقة مادية إلى خليقة روحانية، وينتقل من حالة الضعف والفساد إلى حالة الكمال والبر، شأن كل أعمال الله التي يبتدئها من الصفر ليبلغ بها إلى القمة، لأن هذا معنى كمال الخلقة عند الله.

لذلك نسمع القديس بولس بعد أن كشف سر أصول ومبادئ تدبير خلقة الإنسان عند الله يقول هذا: «مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح، الذي باركنا **بكل بركة روحية في السماويَّات في المسيح**. كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم، لنكون قديسين وبلا لوم قدَّامه في المحبة، إذ سبق فعيَّننا للتبنِّي بيسوع

المسيح لنفسه، حسب مسرَّة مشيئته، لمدح مجد نعمته التي أنعم بها علينا في المحبوب.» (أف ١:٣-٦)

واضح لكل ذي عقل وانتباه من قول القديس بولس: «**كما اختارنا فيه "قبل" تأسيس العالم**»، كما هو واضح أيضاً من القول: «**إذ سبق فعيَّننا للتبنِّي بيسوع المسيح لنفسه**، حسب مسرَّة مشيئته»، كما هو واضح كذلك من قصد الله الفائق في الكمال في قول بولس الرسول: «**لنكون قديسين وبلا لوم قدَّامه في المحبة... لمدح مجد نعمته**»؛ أن هذا لا يتفق إطلاقاً مع الخلقة الترابية التي سقطت من الوجود أمامه بحسب طبيعتها الترابية.

ولكن لا يمكن أن يفوت علينا هنا في هذا الاستعلان المدهش القول: «**باركنا بكل بركة روحية... في المسيح**»، و«"**اختارنا فيه**" قبل تأسيس العالم»، وعيَّننا «**للتبنِّي بيسوع المسيح لنفسه**». هذا يخص أصل التدبير لمنتهى خلقة الإنسان الروحية، وليس الخلقة الترابية.

إذن، واضح للغاية أن خلقتنا الروحية الكاملة والنهائية التي وضع الله خطوطها الأولى في أصل تدبيره - قبل خلقتنا الترابية - هي ذات صلات وثيقة جداً بالمسيح الذي هو الابن الكلمة، لأن هذا كان قبل تأسيس العالم، قبل الخليقة كلها وقبل الزمن! بهذا نفهم أن خلقة الإنسان الكاملة والروحية هي أرفع وأهم وأعظم من كل خليقة أخرى، إذ كانت في تدبير الله منذ البداية قبل تأسيس العالم والأرض بكل خلائقها.

ولكن ما معنى "باركنا في المسيح" و"اختارنا في المسيح" وتبنَّانا بالمسيح قبل تأسيس العالم؟ فالمسيح معروف قبل تأسيس العالم أنه "**الكلمة**" ابن الله! أليس هذا هو المعنى والقصد **البعيد** الذي يدل عليه سفر التكوين عند خلقة الإنسان الأولى الترابية، أنَّ الإنسان خُلِق على صورة الله وشَبَهه التي جاءت بالجمع:

«على صورتنا كشبهنا»؟ والمعنى المترتِّب على ذلك بالضرورة أن الإنسان خُلِق على صورة ابن الله كشبهه؛ والذي يؤكِّد هذا قول بولس الرسول: إنـه «**سبق فعيَّننا** (الله) **للتبنّي بيسوع المسيح** لنفسه» (أف ١:٥). فنحن خُلِقنا، في تدبير الله، قبل تأسيس العالم، لنكون أبناءً لله **في الابن** الوحيد وعلى **صورة الابن في البر وقداسة الحق!!** وعلى شبهه في المجد والبهاء «سبق فعيَّنهم ليكونوا مُشابهين صورة ابنه» (رو ٨:٢٩)!!

وطبعاً هذا ينطبق على روح الإنسان وليس على جسده الترابي الذي دخل في حيِّز العالم كمرحلة دُنيا في خلقة الإنسان، وأصبح ينبغي أن نتخلَّص منها عندما تكمل لنا وسائل وأسباب استعلان الخليقة الروحانية الجديدة.

فلما جاء المسيح (ابن الله بالجسد) ليُعلن بدء استعلان ملكوت الله الذي هو موطن الإنسان الروحي في كمال خلقته، بدأ ـ بآن واحد ـ يعلن عن ضرورة خلقة الإنسان الثانية التي ستأتي من طبيعة الابن بحال قيامته من بين الأموات حتى يؤهَّل بها الإنسان لدخول ملكوت الله.

وقد عبَّر المسيح عن هذه الخلقة الجديدة للروح بالميلاد الجديد أو الثاني أو الميلاد من فوق:

+ «الحق الحق أقول لك: إن كان أحد لا يُولَد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت الله.» (يو ٣:٣)

ثم عاد المسيح يوضِّح كيفية هذا الميلاد الثاني أو الجديد للروح بقوله:

+ «الحق الحق أقول لك: إن كان أحد لا يُولَد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله. المولود من الجسد جسد هو، والمولود من الروح هو روح.» (يو ٣:٥و٦)

ولهذا الميلاد الثاني من فوق تجسَّد ابن الله الكلمة وأخذ صورة الإنسان

بالضرورة التي تمزَّقت وتشوَّهت عن أصلها، وأصلها هو ابن الله الكلمة نفسه، ليُعيد خلقتها على صورة مجده. وطبعاً حينما يُعيد الخلقة يُعيدها إلى الأصل الروحي للإنسان الذي تشوَّه، مع تحفُّظ ألاَّ تصيبها الخطية أو الموت هذه المرة، وبالتالي يُسقِط من حسابه الجسد الترابي الذي كان بالضرورة سبب النقص في الخلقة الأُولى، لأنه تراب وإلى التراب يعود بحسب اللعنة التي طالته: «لأنك ترابٌ وإلى ترابٍ تعود.» (تك ٣:١٩)

ما هو التمزُّق الذي أصاب الصورة، والتشوُّه الذي ألَمَّ بالشبه؟

قلنا سابقاً إن جسد الإنسان مخلوق أصلاً على غير فساد، فليست الخطية التي أخطأها آدم نابعة من الجسد. فالجسد خليقة الله، وخليقة الله لا تُخلَق خاطئة، فحاشا ليد الله أن تصنع خطأً أو شرًّا. ولكن كما قلنا إن حرية إرادة الإنسان التي خُلِق عليها ومعرفته التي خُلق بها كانت معصومة من الخطأ طالما كانت طائعة وملتزمة بتدبير إرادة الله ومعرفته. ولكنها حُرَّةٌ لأن تطيع وتلتزم أو لا تطيع ولا تلتزم، فهذا هو معنى الحرية الكاملة الصحيحة. فلما أغوى الشيطانُ آدمَ وحواءَ للعمل ضد إرادة الله وضد المعرفة التي أوصاهما بها الله، انقطعت الصلة بين إرادة ومعرفة الله وإرادة ومعرفة الإنسان، فَفَقَدَ آدم الصَّوْن والحماية، وتعرَّت إرادته ومعرفته وسقطت. وهكذا تعرَّى من برِّه وقداسته أمام الله. هذا هو تمزُّق الصورة، وتشوُّه الشبه الذي كان له، الذي أفقده ـ في الحال وبالضرورة ـ التأهُّل أن يبقى مع الله، فطُرِد للتوّ وحُرِم من الحياة مع الله.

كيف تعود الصورة إلى أصلها، وينطبق الشبه على أصله؟

واضح أن الضربة التي أصابت نفس الإنسان، أي روحه، إثر المخالفة وعصيان أمر الله بسبب الطاعة للشيطان، كانت فقدان الصلة بين حرية إرادة الإنسان ومعرفته، وبين إرادة الله والمعرفة التي هي النور الإلهي. فأصبح الإنسان لا يعرف الحق ولا يريده، وإن عرفه لا يقوى على عمله. وها هو القديس

بولس يصف الإنسان قبل عملية الفداء التي أكملها المسيح:

+ «لأني لست أعرف ما أنا أفعله، إذ لست أفعل ما أريده، بل ما أُبغضه فإيَّاه أفعل... لأن الإرادة حاضرة عندي (حرية الإرادة)، وأما أن أفعل الحُسْنَى فلستُ أجد (انقطاع الإرادة عن الله). لأني لست أفعل الصالح الذي أُريده، بل الشر الذي لست أُريده فإيَّاه أفعل.» (رو ٧:١٥و١٨و١٩)

هكذا وقع الإنسان تحت عبودية الشيطان، إذ فَقَدَ صلته بالله على مستوى الإرادة والمعرفة، وصار جسده مطيَّة للشيطان.

إذن، إن أراد الله أن يعود الإنسان إليه ويسلِّم له إرادته وينفتح وعيه وبصيرته الروحية لمعرفة الله والحق، فيتحتَّم أن يعيد الله صياغة أو خلقة الإنسان الذي تشوَّهت صورة الله وشبهه فيه ليصير على صورة الله من جديد وعلى شبهه. ولكي لا يعود يخطئ أو يستخدم حرية إرادته أو معرفته في عصيان الله، رأى الله أن يأخذ هذه المرَّة من طبيعة المسيح ويخلق كيان الإنسان الروحي من جديد أو خلقته الجديدة فيصير كيانه الجديد كله قائماً في الله، يريد ما يريده الله، ويعرف ما يعلنه له الله. أو كما يقول القديس بولس يعرف حتى «**أعماق الله**»:

+ «بل كما هو مكتوب: ما لم ترَ عين، ولم تسمع أُذن، ولم يخطر على بال إنسان، ما أعدَّه الله للذين يحبونه. فأعلنه الله لنا نحن بروحه. لأن الروح يفحص كل شيء حتى "**أعماق الله**".» (١كو ٢:٩و١٠)

وفي موضع آخر يقول إنه أُعطِيَ لنا أن نمتلئ بكل ملء الله:

+ «وتعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة، لكي تمتلئوا إلى كل ملء الله.» (أف ٣:١٩)

إلى هذا الحدِّ يبلغ وعي الإنسان الروحي الجديد.

ولكن لكي يعيد الله خلقة روح الإنسان ليكون على صورته وشبهه كان يلزم أولاً أن يرفع عنه العقوبة بالموت الأبدي واللعنة التي أوقعته تحت غضب الله؛ الأمر الذي استحال بسببه على الإنسان أن يتحرَّك وهو تحت اللعنة والغضب أو يعود إلى الله بإمكانياته المحكوم عليها.

هذا استلزم من الابن الوحيد أن يتجسَّد بجسد إنسان، إنما بدون خطية. فيأخذ جسداً من العذراء القديسة مريم ومن الروح القدس، أي جسداً طاهراً قدوساً، ثم يضع عليه خطايا البشرية، كما حوكم كخاطئ ولم يدافع، وقَبِلَ العقوبة والصلب كخاطئ، وتألَّم كخاطئ ومات. وهكذا أكمل في جسد الإنسان عقوبة الموت. ولما عُلِّق على الصليب قَبِلَ اللعنة في الجسد أيضاً، وهكذا برَّأ الجسد من العقوبة ومن اللعنة حينما أكملها فينا. لذلك عندما مات المسيح بالجسد لم يُمسَك في الموت، بل قام وداس الموت، لأنه بموته أكمل عقوبة الخطية فقام، وبقيامته أبطل الموت. **هكذا بموت المسيح بجسد الإنسان، وبقيامته به مبرِّءًا ومبرَّراً، خلق للإنسان فيه جسداً روحياً جديداً لا يخطئ ولا يستطيع أن يخطئ**، كما يقول القديس يوحنا في رسالته الأولى (٣:٩)، **لأنه من طبيعته وليس من التراب بعد.** على أن الجسد الذي قام به المسيح من بين الأموات جسد روحاني له كل ما لجسد الإنسان من الخواص الإنسانية الطبيعية ما عدا الخطية، وبالتالي عدم قابلية الموت لأنه جسد القيامة من الموت الذي وُهِبَ لنا بسر المعمودية: «لأن كُلَّكم الذين **اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح**» (غل ٣:٢٧). وهذا هو الجسد الروحاني الجديد الذي خلقه لنا المسيح لنلبسه في المعمودية بسرِّ المسيح.

وهكذا يَصْدُق القديس بولس حينما يقول:

+ «... **مخلوقين في المسيح يسوع** لأعمال صالحة، قد سبق الله فأعدَّها لكي نسلك فيها.» (أف ٢:١٠)

+ «لكي يخلق الاثنين **في نفسه إنساناً** واحداً **جديداً**.» (أف ٢: ١٥)

فالعماد هنا هو سر الخلقة الجديدة من الماء والروح كقول الرب، والخلقة الجديدة خُلِقت **في المسيح** بنوع من الاتحاد فائق الوصف، يمنحنا صفات ومخصَّصات المسيح: «وتلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله **في البر وقداسة الحق**.» (أف ٤: ٢٤)

وهكذا بالمعمودية استطاع المسيح أن يورِّثنا طبيعة جسده المُقام من الموت، غالباً الخطية ودائساً الموت، في الوقت الذي أمات فيه الجسد العتيق الذي صلبه على الصليب، ومات وخطيته فيه: «عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد صُلِب معه ليُبطَل جسد الخطية، كي لا نعود نُستعبد أيضاً للخطية» (رو ٦: ٦)، «وإن كان المسيح فيكم، فالجسد (الجسد العتيق)[٢] ميِّت بسبب الخطية، وأما الروح (الإنسان الجديد) فحياة بسبب البر.» (رو ٨: ١٠)

هذا أيضاً ما تمَّ في المعمودية التي نُمارِس فيها شركة حقيقية في موت المسيح وقيامته بالإيمان: «إذ خلعتم الإنسان العتيق مع أعماله، ولبستم الجديد الذي **يتجدَّد للمعرفة حسب صورة خالقه**.» (كو ٣: ٩و١٠). فالذي أكمله المسيح على الصليب، وهبه لنا في سرِّ المعمودية، سواء موت الإنسان العتيق أو قيامة وحياة الإنسان الجديد الروحاني.

وبهذا يكون قد استرد المسيح لنا صورته وشبهه في البر وقداسة الحق، وذلك في

---

(٢) الجسد العتيق يُعبِّر عن الخلقة الترابية التي قبلت اللعنة والموت، حيث يُدعى الإنسان كله بالإنسان العتيق.

الجسد الجديد يُعبِّر عن الخلقة الجديدة التي أخذناها من جسد المسيح القائم من الموت التي قبلت منه القيامة من بين الأموات والحياة الأبدية، حيث يُدعى الإنسان كله إنساناً جديداً أو خليقة جديدة روحانية أو إنساناً في المسيح يسوع.

الإنسان الجديد الذي خلقه الله غالباً الخطية، بل ولا يستطيع أيضاً أن يخطئ لأنه من طبيعة جسد القيامة: «كل مَنْ هو مولود من الله (بسر المعمودية) لا يفعل خطية، لأن زرعه يثبتُ فيه (متّحد بالمسيح)، ولا يستطيع أن يُخطئ لأنه مولود من الله (من طبيعة المسيح القائمة من بين الأموات).» (١يو ٣:٩)

هكذا تأهَّل الإنسان رسمياً لميراث الله في الحياة الأبدية بالتبنّي لضمان الاتحاد بالمسيح ابن الله: «الروح نفسه أيضاً يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله. فإن كنّا أولاداً فإننا ورثة أيضاً، ورثة الله ووارثون مع المسيح.» (رو ٨:١٦و١٧)

منهج الإنسان الجديد الذي وضعه المسيح ليحيا به كل إنسان في الحياة الحاضرة ويرث به ملكوت الله:

المحبـــة:

- تغليب المحبة على المنفعة الذاتية.
- تغليب المحبة على حقوقي الخاصة: راحة / كرامة / رزق / مستقبل.
- تغليب المحبة على انحياز الفكر والضمير نحو الأصول والواجب دون المحبة.
- تغليب المحبة على الخوف الذي يعترض عمل المحبة من تهديد بالإساءة أو الضرر.
- تغليب المحبة على الخوف من العوز والفقر والمرض والموت.

إنكار الذات:

- تسليم الحياة برمتها ليدبِّرها المسيح دون همٍّ أو قلق.
- السير وراء المسيح بطاعة مذعنة دون تفكير إلاَّ في كيفية إرضائه.
- قبول كل ما يأتي عليَّ من ضيقات واضطهادات وأمراض وأحزان بسكون، ليكمِّل بها الله إرادته ومشيئته في حياتي، دون سؤال ولا شكوى ولا تذمُّر إنما بصبر وشكر.

اتّباع الرب:

- السير وراء المسيح بطاعة مذعنة واتّباع طرقه: في الصلاة، في السهر طول الليل، في الصوم، في خدمة الفقراء والخطاة، في احتمال الظلم، في معاملة الأعداء، في السير نحو الصليب بثبات وهدوء وشجاعة؛ باعتبار أنه «إن كنّا قد مُتنا معه فسنحيا أيضاً معه» (٢تي ٢:١١)، فلا خوف ولا خسارة في الموت.

ختام:

منهج الإنسان الجديد كخليقة سماوية تحيا ملتصقة بالمسيح على رجاء الحياة الأبدية لا يختلف إن كان الإنسان راهباً، أو كاهناً، أو موظفاً، أو تاجراً، أو صاحب أعمال، أو جندياً، أو عاملاً، أو عبداً مسخَّراً، أو ملكاً.

وفي النهاية نود لو نثبِّت قلب القارئ وإيمانه، أنه بحسب كل ما سجَّلناه من حقائق لا يستطيع تعليم ما، قديماً كان أو جديداً، أن يقنعنا لكي ننكر أو نحتقر **طبيعة** الإنسان الجديد الذي خلقه المسيح فينا لنحيا به ونرث الملكوت؛ هذه الطبيعة التي ورثناها منه بقيامته من بين الأموات في «البر وقداسة الحق». فهي ليست صفات ولا مواهب ممنوحة بل طبيعة مخلوقة: «الإنسان الجديد **المخلوق** بحسب الله في البر وقداسة الحق» (أف ٤:٢٤)، وهي تتحقَّق فينا بأن يتصوَّر المسيح نفسه في أعضائنا: «يا أولادي الذي أتمخَّض بكم أيضاً إلى أن يتصوَّر المسيح فيكم.» (غل ٤:١٩)

(يناير ١٩٩٧)

الجسد والروح في الإيمان المسيحي

■❖✞❖■

أول مَنْ وضع هذه الثنائية في الإيمان المسيحي هو المسيح نفسه، حينما كان يتكلّم عن ملكوت الله مع نيقوديموس أحد رؤساء السنهدريم اليهودي، إذ قال له فيما يختص بملكوت الله:

١ ـ «الحق الحق أقول لك: إن كان أحد لا يولَد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت الله.» (يو ٣:٣)

ولكي يشرح كيفية الولادة من فوق قال:

+ «الحق الحق أقول لك: إن كان أحد لا يولَد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله.» (يو ٣:٥)

بمعنى، لكي يدخل الإنسان ملكوت الله (فوق) يلزم أن يولد من فوق، مشيراً إلى عمل السرِّ الإلهي الفائق.

٢ ـ ثم لكي يفرِّق المسيح بين إنسان يولد من الجسد وإنسان يولد من الروح، قال:

+ «المولود من الجسد جسد هو، والمولود من الروح هو روح.» (يو ٣:٦)

وهكذا أدخل المسيح على الإنسان العادي (الخاطئ) إمكانية ولادة أخرى ثانية من الروح، فصار الإنسان نفسه المولود من الجسد مولوداً أيضاً من الروح. ولكن المسيح فرَّق بوضوح بين الميلاد من الجسد والميلاد من الروح حين قال إن الميلاد من الجسد أعطى الإنسان طبيعة جسدية، إذ قال: «**جسدٌ هو**»؛ ثم عاد وأعطى

الإنسان نفسه حينما يولد ثانية من الروح طبيعة الروح، إذ قال: «**هو روح**».

لماذا أعطى المسيح هذا الميلاد الثاني من الروح؟

واضح أن الإنسان مخلوق من تراب، إذ نفخ فيه الله من روحه، **فصار حيًّا. فهو تراب أو مادة حيَّة**، ولكنه كان مخلوقاً على صورة الله في المعرفة وفي المشيئة الحرَّة. فحدث أن استخدمهما في عصيان الله وعمل الممنوع عن معرفةٍ وإرادةٍ حرَّة. فتشوَّهت معرفته وسقط من السيادة على إرادته، ونزل إلى الأرض ليعمل فيها. وهكذا صار الإنسان نهباً للشيطان الذي أوحى إليه وهو في النعيم أن يعصى الله بدافع شرير بعد حوار غير حذر؛ إذ في عملية استدراج، بادر الشيطان حواء الأضعف في الإنسان: «أحقاً قال الله: لا تأكلا من كل شجر الجنة» (تك ٣: ١)؟ فتسرَّعت حواء دون العودة إلى رجلها بنوع من حرية الذات، مع أنهما كانا **واحداً**، وتكلَّمت عن نفسها وعن آدم ظلماً: «فقالت المرأة للحية: مِنْ ثمر شجر الجنة نأكل، وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة، فقال الله: لا تأكلا منه **ولا تمسَّاه** لئلا تموتا» (تك ٣: ٢و٣). فألقى الشيطان فخه المسموم أمام عقلها وذكَّرها بحرية إرادتها وقال: «فقالت الحية للمرأة: **لن تموتا** (هكذا)، بل الله عالِمٌ أنه يوم تأكلان منها تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفَين الخير والشر» (تك ٣: ٥). هذا الكلام صحيح تماماً، ولكنه مطعوم بالسم، أين هو؟

صحيح أن الله أعطى الإنسان حرية إرادة ومعرفة، ولكن كانت الحرية مربوطة بالله، والمعرفة مستمدة منه، طالما كانا طائعَيْن خاضعَيْن. ولكن إن هما عصيا أمر الله، فالمعرفة تنقطع صلتها بالله، والحرية الشخصية تفقد تأمينها، ويصيران تحت سلطة الشيطان. لم تنتبه حواء للفخ ولا للسم الموضوع في الكلام الصحيح: «فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل، وأنها بهجة للعيون (الحواس بدون حراسة العقل المتَّصل بالله، والحرية بلا مدبِّر أو موجِّه)، وأن الشجرة شهية للنظر. فأخذتْ من

ثمرها وأكلت وأعطت رجلها أيضاً معها فأكل. فانفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان...» (تك ٣: ٦و٧)

هذا كان مدخل خطية آدم، إذ بعصيان الله تعرَّى من نعمة الحفظ في حرية الله وتدبيره. وهكذا صار الإنسان بجسده الترابي فاقداً حريته المحفوظة في الله، ومعرفته المستمدة من الحق. صحيح أن له إرادة حرَّة، وصحيح أن له معرفة، ولكنه أصبح غير قادر على حفظ حرِّيته من سيطرة الشيطان، ولا أصبح قادراً على معرفة الحق الذي يحفظه بلا خطية.

فماذا يعمل الله للإنسان الذي انحاز بجسده لشهوات التراب، وانقطعت عنه معرفة كل ما فوق؟ وأصبحت حياته تنتهي نهاية واحدة أسماها آباء العهد القديم: «طريق الأرض كلها» (١مل ٢: ٢)، أي الموت. هكذا تحتَّم للإنسان أن يُخلق خلقة ثانية جديدة، إنما هذه المرَّة من فوق من الروح وليس من التراب.

خلقة الإنسان الجديد الروحاني من فوق:

والقصد من الخلقة الأولى للإنسان من تراب الأرض، هو أن الله أراد أن توجد أمامه خليقة من الأرض تسبِّحه وتحيا معه وترتقي إليه. فلما أخفقت الخليقة الأولى في ذاتها الترابي، صمَّم الله هذه المرَّة أن يخلقها من طبيعة ابنه القائم من بين الأموات، الروحانية غير القابلة للموت أو الفساد! فأرسل "**كلمته**" الذاتي حاملاً فكر الله، **وبنوَّته، ومشيئته، وفعله.**

+ واضح هنا أن الله عزم أن يمنح الإنسان هنا كلمته، أي معرفته، ليفتح معرفة الإنسان على معرفة الله:

«عرَّفتهم اسمك (شخصك) وسأُعرِّفهم، ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به، وأكون أنا فيهم.» (يو ١٧: ٢٦)

+ وعِوَض بنوَّتهم لآدم التي كانت سبب الخطيئة ومصدرها، عزم أن

يعطيهم حقَّ التبنّي لله، أي أن يكون الله أباهم:
«الروح نفسه أيضاً يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله.» (رو ٨:١٦)

+ وعِوَض حرية آدم التي استولى عليها الشيطان، أعطاهم "حرية مجد أولاد الله" (رو ٨:٢١):
«فإنْ حرَّركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً.» (يو ٨:٣٦)

وهكذا وُلِدَ "الكلمة" ابن الله بالجسد، **وأخذ "شِبه" جسد الخطية** (رو ٨:٣)، **ولكن بدون الخطية**، مما يُثبت أن الجسد (اللحم والدم) ليس فيه خطية بحدٍّ ذاته. فالخطية كامنة في الإرادة المحرومة من تدبير الله، والمعرفة المنقوصة البعيدة عن معرفة الله؛ اللتين تداخل فيهما الشيطان وأفسدهما.

ثم حمل الكلمة ابن الله المتجسِّد (المسيح) خطايانا في جسده على الخشبة، فأصبح قابلاً للموت وتحت العقوبة كإنسان، وهو أصلاً بلا خطية كإله. ومات بالجسد، فأكمل العقوبة في الجسد، وداس الموت وقام بالجسد، ذات الجسد ـ جسدنا ـ الذي صُلب به لأجلنا، قام بلا خطية وغير قابل للموت في وضعه الروحي السماوي. وهكذا سلَّمنا جسده القائم من بين الأموات ليكون جسدنا الجديد الروحي، فأصبح المسيح بذلك أبانا الجديد، آدم الثاني، الروح من السماء، عِوَض آدم الأول الترابي الذي من الأرض:

+ «صار آدم، الإنسان الأول، نفساً حيَّة، وآدم الأخير روحاً مُحيياً...
الإنسان الأول من الأرض ترابي. الإنسان الثاني الرب من السماء...
وكما لَبِسنا صورة الترابي، هكذا **لنلبس**[1] صورة السماوي.» (١كو ١٥:٤٥و٤٧و٤٩)

---

(١) بحسب المخطوطات الأقدم التي تُعطي معنى أصح (انظر الإنجيل اليوناني الإنجليزي تحت الخط Interlinear).

وسلّمنا المسيح جسده الروحي هذا في **سر المعمودية** الذي فيه نولَـد جديـداً بالروح له وعلى شكله في البر وقداسة الحق، معتبرين أننا **مولودون من الله**:

+ «وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سـلطاناً أن يصـيروا **أولاد الله**، أي المؤمنـون باسمه. الذين وُلِدوا ليس من دمٍ، ولا من مشيئة جسد، ولا من مشيئة رجل، بل من الله!» (يو ١٢:١و١٣)
+ «لا بأعمال في برٍّ عملناها نحن، بل بمقتضى رحمته خلّصنا بغسـل **الميـلاد الثاني** وتجديد الروح القدس.» (تي ٥:٣)
+ «كل مَنْ يؤمن أن يسوع هو المسيح، فقد **وُلِد من الله**.» (١يو ١:٥)
+ «**مولودين ثانية**، لا من زرع يفنى، بل ممَّـا لا يفنـى، بكلمـة الله الحيـة الباقيـة إلى الأبد.» (١بط ٢٣:١)
+ «لأنكـم جميعـاً **أبنـاء الله** بالإيمـان بالمسـيح يسـوع. لأن كلّكـم الذيـــن اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح.» (غل ٢٦:٣و٢٧)
+ «إن كنتم قد سمعتموه وعُلِّمتم فيه كما هو حقٌّ في يسوع، أنْ تخلعوا مـن جهة التصرُّف السابق الإنسان العتيق الفاسـد بحسـب شـهوات الغـرور، وتتجدَّدوا بروح ذهنكم، وتلبسوا الإنسان الجديد المخلـوق بحسـب الله في البر وقداسة الحق.» (أف ٢١:٤-٢٤)
+ «لا تكذبوا بعضكم على بعض، إذْ خلعتـم الإنسـان العتيـق مـع أعمالـه، ولبسـتم الجديـد الـذي يتجـدَّد للمعرفـة حسـب صـورة خالقـه.» (كـو ٩:٣و١٠)

وهكذا منحنا الله أعظم عمـل بعد خلقتنـا الأولى الترابيـة، وهـو خلقتنـا الثانيـة الروحية من فوق، من الماء والروح بالميلاد الثـاني، في الإنسـان الجديـد المخلـوق في المسيح، ومن طبيعة المسيح القائم من بين الأموات، الذي من طبيعته أن يتجـدَّد فينـا بالروح القدس: «من مجد إلى مجد كما من الرب الروح.» (٢كو ١٨:٣)

وهكذا صار الإنسان مكوَّناً من عنصرين: الإنسان القديم الخاطئ الترابي المحكوم عليه بالموت والقابل للخطية؛ والإنسان الجديد الثاني الروحي من السماء على صورة المسيح ومن طبيعته القائمة من بين الأموات، والذي لا يسود عليه الموت، وهو ليس تحت ناموس الخطية بل تحت ناموس روح الحياة في المسيح، لا تسود عليه الخطية لأنه ليس تحت نيرها، بل هو تحت النعمة وقيادة الروح القدس. بل ويؤكِّد القديس يوحنا أنَّ مَنْ يؤمن بالمسيح ويعتمد له، يولَد من الله ميلاداً جديداً، لا يخطئ، ولا يستطيع أن يخطئ، فهو من طبيعة المسيح وتحت قيادة الروح القدس:

+ «كل مَنْ هو مولود من الله لا يفعل خطية، لأن زرعه يثبت فيه، ولا يستطيع أن يُخطئ لأنه مولود من الله.» (١يو ٣:٩)

+ «نعلم أن كل مَنْ وُلِدَ من الله لا يخطئ، بل المولود من الله يحفظ نفسه (بالنعمة)، والشرير لا يمسُّه.» (١يو ٥:١٨)

وهنا نشأ التصارع فينا لحساب المسيح والله الآب:

+ «لأن الجسد يشتهي ضد الروح والروح ضد الجسد، وهذان يُقاوِم أحدهما الآخر، حتى تفعلون ما لا تريدون.» (غل ٥:١٧)

+ «وإنما أقول: اسلكوا بالروح فلا تكمِّلوا شهوة الجسد.» (غل ٥:١٦)

+ «ولكن إذا انقدتم بالروح فلستم تحت الناموس.» (غل ٥:١٨)

+ «لأن مَنْ يزرع لجسده فمن الجسد يحصد فساداً، ومَنْ يزرع للروح فمن الروح يحصد حياة أبدية.» (غل ٦:٨)

+ «إن عشتم حسب الجسد فستموتون، ولكن إن كنتم بالروح تُميتون أعمال الجسد فستحيون. لأن كل الذين ينقادون بروح الله، فأولئك هم أبناء الله.» (رو ٨:١٣و١٤)

ولكن يعطينا بولس الرسول تأكيداً أن كفة الإنسان هي الأقوى، لأن

الإنسان الجديد محكوم بالنعمة ومقيَّد بالروح، ولا يعمل الجسد العتيق في حضرته إلاَّ خلسة:

+ «فإن الخطية لن تسودكم، لأنكم لستم تحت الناموس بل تحت النعمة.» (رو ٦: ١٤)

وهنا يتضح أن الجسد العتيق لا يزال له الفرص أن يعمل حسب شهوات التراب، ولكن يؤكِّد لنا بولس الرسول أن "الجسد ميت"، أي في حكم الموت مع الخطية التي تعمل:

+ «وإن كان المسيح فيكم (وهذا بالإيمان وبسر العماد والتناول)، فالجسد ميِّت بسبب الخطية، وأما الروح (الإنسان الجديد) فحياةٌ بسبب البر (الذي ناله بقيامة المسيح من بين الأموات).» (رو ٨: ١٠)

بل ويؤكِّد لنا القديس بولس أيضاً، أن دم المسيح قد طهَّرنا حقاً وبالفعل من أعمال الجسد التي اعتبرها أعمالاً ميتة، وأنهى عليها في الضمير:

+ «فكم بالحري يكون دم المسيح، الذي بروح أزلي قدَّم نفسه لله بلا عيب، يُطهِّر ضمائركم من أعمال ميِّتة لتخدموا الله الحي!» (عب ٩: ١٤)

ويفوق الكل القديس يوحنا، عندما يُنادي ببوق النعمة لكي نحصل على حقِّنا في استعلان الحياة الأبدية التي صارت لنا، ونتمسَّك بالشركة التي وُهبت لنا باستعلان الحياة الأبدية في الآب وفي المسيح:

+ «الذي رأيناه وسمعناه نُخبركم به، لكي يكون لكم أيضاً شركة معنا. وأما شركتنا نحن فهي مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح. ونكتب إليكم هذا لكي يكون فرحكم كاملاً.» (١يو ١: ٣و٤)

وهذا لا ينفي أن تكون لنا خطايا بالجسد، ولكن يؤكِّد لنا القديس يوحنا أن هذه الخطايا تحت شفاعة المسيح وهي مُلغاة بالكفَّارة:

+ «... ودم يسوع المسيح ابنه يُطهِّرنا من كل خطية. إن قلنا إنه ليس لنا خطية نُضِلُّ أنفسنا وليس الحقُّ فينا. إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل، حتى يغفر لنا خطايانا **ويُطهِّرنا من كل إثم.**» (١يو ١:٧و٨و٩)

+ «إن أخطأ أحدٌ فلنا شفيعٌ عند الآب، يسوع المسيح البار، وهو كفّارة لخطايانا.» (١يو ٢:٢)

ومن روح القديس يوحنا ومن مضمون تعبيره وكلامه، نفهم أنه من حقّنا الأول أن نشعر أننا نحيا في الحياة الأبدية التي أُظهِرَت من أجلنا في المسيح يسوع، وأنه بمقتضاها نحن شركاء حتماً مع الآب والمسيح. وهذا هو نصيب الإنسان الجديد الروحاني المخلوق على صورة خالقه في البر وقداسة الحق، هذا حقّه، هذا عمله، هذا فرحه وإكليله. ولكن هذا لا ينفي أننا نخطئ، ولكن خطيتنا تحت محاصرة النعمة وغفران الدم. على أنه يستحيل أن تقوى خطايا الجسد الميت، التي هي أعماله الميتة، وتنال من نصيبنا في شركتنا مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح، أو تُنقص من فرحنا الكامل قيد أُنملة، أو تستطيع أن تعيد رُعبة الموت لضمائرنا التي طهَّرها دم المسيح بروح أزلي.

مصدر الصراع بين الجسد والروح:

سبق أن قلنا إن الجسد لا يُحسب ـ بحد ذاته كلحم وعظام ـ أنه مصدر الخطية أو الشر فهو خليقة الله، والله منزَّه عن أن يخلق الشر. ولكن طبيعة الخطية التي ورثناها من آدم هي "الحرية الساقطة" من مصدرها الإلهي الذي كان يحفظها ويدبِّرها، وما يتبعها من إرادة ومشيئة مسيبة لا ضابط لها، ثم معرفة مفصولة عن الله منحطّة. هذه كلها صارت لعبة في يد الشيطان.

وبناءً على ذلك أصبح لا نفع للجسد ولا منفعة فيه طالما هو مسيَّر تحت هذه القوى المسيبة.

ومن هنا كان ـ كما سبق وقلنا ـ تصميم ا لله أن يخلقنا من جديد خلقة روحانية بالميلاد من فوق، مفصولة نهائياً عن مصدر الخطية ومفاعيلها وآثارها. لأنه ميلاد من ا لله من طبيعة جسد القيامة الذي للمسيح الذي أبطل الخطية وألغى الموت عن الإنسان الجديد الذي قام به. لذلك كان قول القديس يوحنا صادقاً ويتحتّم الالتفات إليه، أنَّ: «**المولود من ا لله لا يخطئ ولا يستطيع أن يخطئ**». هذا هو الإنسان الجديد الذي ورثناه من المسيح كآدم الثاني؛ الذي وإن صحَّ أن يُقال إنه أبونا الجديد عِوَض آدم، إلاَّ أنه أعطانا التبنّي معه وفيه لله الآب، لذلك دُعِيَ أخانا البكر (رو ٨:٢٩)، بكر القائمين من بين الأموات (كو ١:١٨)، مع أننا محسوبون أننا مخلوقون فيه وعلى صورته.

والذي ينبغي أن نقف عنده ونتمسَّك به هنا، أن جسدنا الروحي الجديد لا يخطئ ولا يموت، إذ هو قائم في المسيح يسوع ومتّحد به: «فأحيا لا أنا، بل المسيح يحيا فيَّ» (غل ٢:٢٠)، «وأما مَنْ التصق بالرب فهو روح واحد» (١كو ٦:١٧)، «أنتم فيَّ وأنا فيكم» (يو ١٤:٢٠)، «مَنْ يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية، وأنا أُقيمه في اليوم الأخير» (يو ٦:٥٤)، «مَنْ آمن بي ولو مات فسيحيا، وكل مَنْ كان حيًّا وآمن بي فلن يموت إلى الأبد.» (يو ١١:٢٥و٢٦)

وواضح أن الصراع بين الجسد العتيق والجسد الجديد الروحاني[٢] ليس في طبيعة كل منهما، ولكن في الإرادة والمعرفة. فالجسد العتيق تتحكّم فيه شهوات التراب (العالم) التي خضع لها آدم أبوه، ودائرة معرفة الجسد العتيق مربوطة في الماديات وحدودها العقل. فكل ما هو غير معقول أو فائق مثل الروحيات، جهالة عنده. وعند العامة يقولون إن الله عُرف بالعقل. هذا غش وكذب، فا لله لا يُعرف إلاَّ بالإيمان، والإيمان يكون بالوعي الروحي في الإنسان.

---

(٢) انظر هامش (٢)، صفحة ١٦

فالصراع، في الواقع، على أشدّه بين العقل في الجسد العتيق، والوعي الروحي المفتوح في الإنسان الجديد المتّصل بالله، ولا يمكن أن يتقابلا أو يتوافقا إلاّ تحت سلطان الخضوع لله والتسليم له. لذلك يتحاشى أهل الفطرة والبسطاء الدخول في المعارف الإلهية العالية التي لا يستوعبها إلاّ الوعي المفتوح على الله، ويكتفون بالخضوع والتسليم بالمسلّمات دون مناقشة.

ونجد هذه الحقيقة واضحة عند التلاميذ، إذ ظلّوا غير قادرين على استيعاب حقيقة المسيح والتعرُّف على شخصه إلاّ بعد أن فتح المسيح ذهنهم (لو ٢٤:٤٥) بنوع من الامتياز الروحي، وذلك بواسطة الروح القدس تمهيداً لقيام الجسد الروحي الجديد بالميلاد الثاني الذي تمَّ جهاراً يوم الخمسين. وهكذا انحصر الصراع بين الجسد العتيق والإنسان الجديد الروحاني، بين الوعي بالحق الإلهي والغش والتزييف الذي يصنعه الجسد العتيق، إذ يصوِّر الشهوات والرذائل على أنها حق وهي كذب وخداع. فأصبحت الحرب الحقيقية بين الروح والحق، وبين الكذب والخداع المادي. فالجسد يصوِّر المجد الدنيوي والعظمة والرئاسات والملذّات والشهوات والغِنى والجنس، وكل المناقص من غش وتزوير واختلاس وسرقة وقتل، على أنها في لحظتها أمور ضرورية وهامة ولابد منها؛ وينبري الإنسان الجديد المتّسم بالبر وقداسة الحق، بإدراكه للحق وباستنارة النعمة، بالحكم عليها جميعاً بالكذب والغش والتفاهة، وينأى عنها ويقاومها ويدفع الثمن.

وأخيراً، يصير للإنسان الذي خضع للجسد العتيق الندامة والحزن، ويرتمي في التراب بانتظار حساب الدينونة؛ في حين أن الإنسان الذي انتصر فيه إنسانه الروحي، وتجلّى في البر وقداسة الحق المخلوق عليها، يكون له الغلبة والانتصار والفرح الكامل وانتظار المجد العتيد:

+ «لأن كل الذين ينقادون بروح الله، فأولئك هم أبناء الله... فإنْ كنّا أولاداً

فإننا ورثة أيضاً، ورثة ا لله ووارثون مع المسيح.» (رو ٨: ١٤و١٧)

طبيعة الإنسان الجديد الروحاني:

طبيعة الإنسان الجديد هي من طبيعة المسيح القائم من بين الأموات، روحانية مبرَّرة مؤهَّلة لشركة الحياة الجديدة مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح؛ وإذا تنشَّطت بالإنجيل والصلاة، فإنها تؤهَّل للانفتاح لإدراك أسرار الكلمة والإحساس بالحق ومعرفة أسرار الله ومقاصده.

وهي المؤهَّلة بالنعمة التي فيها أن تكون هيكلاً حقيقياً للروح القدس، يسكن فيها ويقودها ويرتاح فيها ويعلِّمها ويكشف لها حقائق المسيح حسب وعد المسيح. وهي مؤهَّلة للرؤى والمناظر والإعلانات عن غير استعداد منها ولا إعداد، بل هي مواهب ممنوحة بلا كيل. وهي التي رآها القديس بولس أنها المؤهَّلة لتكون أعضاءً في جسد المسيح، وهي بالفعل التي تتزيَّن بها الكنيسة في أشخاص أبرارها وقديسيها على ممر الدهور.

وعن طريق طبيعة الإنسان الجديد التي هي من طبيعة المسيح، يؤكِّد بولس الرسول أنها منفتحة على محبة المسيح الكاملة، وبالتالي فهي مستحقة أن تمتلئ بكل ملء الله:

+ «وتعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة، لكي تمتلئوا إلى كل ملء الله.» (أف ٣: ١٩)

وهي معدَّة من ا لله والمسيح لكي تكون إنساناً واحداً في المسيح يتفاوت في التغيير في الصورة من مجد إلى مجد، ولكن الطبيعة واحدة، فيصبح الجميع واحداً متكاملاً:

+ «لبنيان جسد المسيح، إلى أن ننتهي جميعنا إلى وحدانية الإيمان ومعرفة ابن ا لله. إلى إنسان كامل. إلى قياس قامة ملء المسيح.» (أف ٤: ١٢و١٣)

فإن كان هذا هو أمرنا الذي ننتهي إليه: اتحاد إلى إنسان كامل له ملء قامة المسيح؛ فانظر، أيها القارئ العزيز، كيف أن محبة بعضنا البعض واجبة، بل هي ضرورة بدونها لا تكمل الصورة!

+ «بل صادقين في المحبة، ننمو في كل شيء إلى ذاك الذي هو الرأس (لنا جميعاً): المسيح!» (أف ٤: ١٥)

ولكن محبة الله أو محبة الآخرين بالجسد العتيق غش وادِّعاء كاذب، لأن المحبة الحقيقية هي وحدها التي تكون من طبيعة الله الذي هو المحبة الحقيقية، والجسد الجديد الروحاني وحده ـ وليس العتيق ـ هو الذي له طبيعة المحبة الحقيقية. والمحبة الحقيقية لا تنبع من العاطفة ولا الواجب ولا الشجاعة. فقد يموت حبيب بدافع حبِّه لحبيبته، وقد يموت خادم بدافع من أمانته، وقد يموت جندي بدافع من شجاعته؛ أما الإنسان الروحي الذي يحب، فهو يحب بدافع حبِّه لله ومن أجل الله، مستعدٌ أن ينكر ذاته ويموت، لأن محبة الإنسان الروحي هي من ذات طبيعة محبة الله، وهي امتداد لها وفعلها.

أما الجسد العتيق فهو من دافع عواطفه الخاصة أو بدافع واجبات أو مُثُل إنسانية، يحب ويبذل ويموت من أجل الآخرين، ولا يكون لحبِّه عائد سماوي. أما محبة الإنسان الروحاني فمن طبيعته الروحانية، يستمد حبَّه من الله للآخرين دون أي عائد أو نفع له وخارجاً عن أي دافع غرائزي أو إنساني. لذلك فميزانه الحسَّاس الذي يكشف طبيعته هو الوصية «أحبوا أعداءكم»:

+ «ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا.» (رو ٥: ٨)
+ «ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه.» (رو ٥: ١٠)
+ «الذي أحبَّني وأسلم نفسه لأجلي.» (غل ٢: ٢٠)

هذه عينات من المحبة بحسب طبيعة المسيح التي ورثناها منه بالإيمان به

والمعمودية باسمه. فإذا سألتني: ما هي علامة الإنسان المسيحي الروحي الحقيقي؟ أقول لك: إنه يحب أعداءه!!

ونوع المحبة الحقيقية التي من عمق طبيعة الإنسان الجديد، هي كما يقولها القديس بطرس:

+ «طهِّروا نفوسكم في طاعة الحق بالروح للمحبة الأخوية العديمة الرياء، فأحبوا بعضكم بعضاً من قلب **(الذي هو الإنسان الجديد) طاهر بشدَّة. مولودين ثانية**، لا من زرع يفنى، بل مِمَّا لا يفنى، بكلمة الله الحيَّة الباقية إلى الأبد.» (١بط ١: ٢٢و٢٣)

أما ذِكره: «عديمة الرياء»، فهو لكي يستبعد عواطف وميول الجسد العتيق.

الإنسان الجديد هو الذي يُعطي الإنسان المسيحي الذات التي يرث بها الملكوت:

الإنسان الجديد الروحي الذي نلناه بالإيمان بالمسيح وبالمعمودية باسم المسيح، هو الذي يمنحنا لقب أبناء الله المولودين من الله، وبالتالي هو الذي به نرث الملكوت مع المسيح:

+ «الروح نفسه أيضاً يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله. فإن كنا أولاداً فإننا ورثة أيضاً، ورثة الله ووارثون مع المسيح.» (رو ٨: ١٦و١٧)

ويقول أُحد العلماء اللاهوتيين البارزين لدى الكاثوليك والبروتستانت، وهو العالِم الفرنسي أوجست ساباتييه (١٨٣٩ - ١٩٠١م):

[إن خلاصنا سيكتمل حينما تتخلَّص الروح (الإنسان الجديد) من قيود الجسد المادي.][٣]

---

(٣) A. Sabatier, cited by Fernand Prat, *The Theology of St. Paul,* Vol. II, p. 70.

وهذا الكلام هو صدى لما يقوله بولس الرسول:

+ «إن نُقِض بيت خيمتنا الأرضي، فلنا في السموات بناءٌ من الله، بيتٌ غير مصنوع بيدٍ، أبديٌّ. فإننا في هذه أيضاً نئن مُشتاقين إلى أن نلبس فوقها مسكننا الذي من السماء (الإنسان الجديد المخلوق على صورة الله في البر وقداسة الحق)... ولكن الذي صنعنا لهذا عينه هو الله، الذي أعطانا أيضاً عربون الروح (الجسد الجديد). فإذاً نحن واثقون كل حين وعالمون أننا ونحن مُستوطنون في الجسد (العتيق)، فنحن متغرِّبون عن الرب... فنثق ونُسَرُّ بالأَوْلَى أن نتغرَّب عن الجسد ونستوطن عند الرب.» (٢كو ٥: ١-٨)

وهذا تسجيل بديع لبولس الرسول الذي يُشبِّه حياتنا الآن بالجسد، أننا عائشون في خيمة أرضية عندما نخلعها نلبس مسكننا الذي من السماء، الذي هو الإنسان الجديد (الروح)، الذي مثَّله وكأنه فينا **كعربون** للحياة الأبدية مع الله.

الجسد الجديد لا يدخل الدينونة:

واضح كما قلنا إن الجسد الجديد مولود من الله. وبحسب القديس يوحنا، المولود من الله لا يخطئ ولا يستطيع أن يخطئ، لأن له طبيعة من الله، وروح الله (زرْعه) كائن فيه. وهذا يجعله منفصلاً كلِّية عن مفهوم الخطية وناموسها الذي يعمل في الجسد المادي فقط، بل وبمنأى تماماً عن عقوبة الموت بالجسد التي أخذها آدم وورَّثها لبنيه. لذلك يتعيَّن، بكل ثقة، أنه يستحيل أن يدخل الدينونة كما قال بولس الرسول: «لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع» (رو ٨: ١). ونحن في المسيح يسوع حقًّا بالإيمان والمعمودية والتناول من جسده ودمه من واقع الكفَّارة والخلاص. وحتى ولو أضفنا الجزء الذي أسقطته الأبحاث اللاهوتية لعدم وجوده في المخطوطات القديمة، القائل مكمِّلاً الآية السابقة: «السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح»، فهو

يشرح معنى «الذين هم في المسيح يسوع» وليس مُضافاً إليها.

إذن، أصبح الإنسان المسيحي الذي يحيا بإيمانه وبحسب مواهب الإنسان الجديد في التعلّق بالله والعبادة والصلاة ومحبة الآخرين بالقلب وبالروح؛ لن يدخل الدينونة، وهو من الآن محسوب أنه في المسيح يسوع، يعيش شركة الحياة الأبدية معه كالعربون، وله الرجاء أنه سيحيا معه إلى الأبد، وله ميراث الملكوت كابن لله في المسيح.

بل ويزيد القديس يوحنا هذا اليقين حينما يقول لشعب كنيسته: «أيها الأحباء، **الآن نحن أولاد الله**، ولم يُظهَر بعد ماذا سنكون (هناك). ولكن نعلم أنه إذا أُظهِرَ (المسيح) "**نكون مثله**"، **لأننا سنراه كما هو**» (١يو ٣:٢). هنا يؤكِّد القديس يوحنا أننا سنقف بإنساننا الجديد الذي أخذناه في المعمودية بلِبْس المسيح، حينما نخلع العتيق بالموت الجسدي لنتقابل مع المسيح فوق، وأنه حينما يظهر المسيح أي يُستعلن لنا هناك، "**سنكون مثله**" من واقع ما أخذناه هنا، لأننا مخلوقون على صورة الله في البر وقداسة الحق. أما أنه تعقيباً على قوله: "سنكون مثله"، فقد أعطى السبب قائلاً: «**لأننا** سنراه كما هو»، فهذا يعني أننا حينما نراه أمامنا فسيكون هو هو كما هو فينا.

هذا إبداع رؤيوي إيماني فائق القوة والعزاء.

(نوفمبر ١٩٩٦)

الخليقة الأولى والخليقة الثانية

في الإيمان المسيحي

ومراحلها من قبل تأسيس العالم حتى النهاية

❖✝✝✝❖

أصل خلقة الإنسان بحسب ما صرَّح به الوحي المقدَّس على لسان القديس بولس في رسالته إلى أهل أفسس هو أن يصبح لله خليقة إنسانية تقف أمامه وتُسبِّح إنعاماته بحسب الآيات:

أ ـ **«مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح، الذي باركنا بكل بركة روحية في السماويَّات في المسيح»** (أف ١ : ٣):

من هذه الآية يكشف الوحي عن أول سر من أسرار الخلق للإنسان، إذ تسجَّل في المقاصد الإلهية أنِ يحظى الإنسان بكل بركة روحية في السماويات كخليقة باركها الرب بركة مطلقة أي أبدية. فقوله: «بكل بركة روحية في السماويَّات»، يعني بركة سماوية كلِّية أي مطلقة كعمل من أعمال الله الفائقة والدائمة. وبها تنكشف لنا خليقة الإنسان حائزة على كل المواهب والنِّعَم الإلهية السمائية. لاحِظ هنا الغياب الكامل لمفهوم الأرض والخلقة الترابية.

ثم أضاف الوحي "في المسيح"، وهكذا تحدَّد أن يكون هذا الامتياز الكبير لهذه البركات ليس للإنسان في حدِّ ذاته مستقلاً؛ بل تكون البركات السماوية ممنوحة في شخص يسوع المسيح. وواضح أنَّ تواجُد الإنسان في المسيح ـ الذي هو ابن الله ـ متَّحداً به، يعطيه هذه الامتيازات السماوية.

ب ـ «كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم، لنكون قدِّيسين وبلا لوم قدَّامه في المحبة»:

هنا توضيح قوي للآية السالفة، أي أن بركة الله للإنسان بالبركة الروحية السماوية في المسيح، هي على أساس أن الله "اختارنا في المسيح"، أي أن اختيار الله للإنسان هو أيضاً على أساس أن يكون متَّحداً بالمسيح، ولا يزال هذا كله في محيط مشورة الله قبل تأسيس العالم أي قبل الزمن.

ولكن قبل تأسيس العالم كان المسيح هو "الكلمة". إذن، فخلقة الإنسان تحدَّدت في الابن المبارك لتكون متَّحدة به، وبالتالي وريثة في البركة معه، وبالتالي مقدَّسة وبلا لوم فيه.

ويحدِّد الوحي مكان تواجُد هذه الخليقة، أنها "قدَّام الله"، أي في حضرته. وهذا يكشفه سفر الرؤيا: «من أجل ذلك هم أمام عرش الله ويخدمونه نهاراً وليلاً في هيكله» (رؤ ٧: ١٥). أما العلاقة الجوهرية التي تربط هذه الخليقة السماوية الواقفة أمام الله بالله، فهي علاقة المحبة.

وهذا تحصيل حاصل، فالعلاقة الجوهرية التي تربط الابن بالله الآب هي المحبة، والمعنى أن هذه الخليقة بسبب اتحادها بالابن تدخل بالضرورة دائرة حب الله. كل هذا ولا يزال هو تصوُّر خلقة الله للإنسان قبل تأسيس العالم.

ج ـ «إذ سبق فعيَّننا للتبنِّي بيسوع المسيح لنفسه، حسب مسرَّة مشيئته»:

وهذا أيضاً توضيح ما بعده توضيح للآية السالفة في مفهومها الذي استنبطناه من واقع الآية، إذ يقول هنا إن الله سبق فعيَّننا للتبنِّي قبل تأسيس العالم، أي حدَّد علاقتنا الشخصية به لنكون أبناءً لله. ولكن إذ يستحيل على أي خليقة أن تأخذ درجة الابن لله بالفعل وليس تجاوزاً، لذلك تحتَّم أن تأخذ درجة التبنِّي باتحادها بالابن، ليكون التبنِّي بالوساطة وعلى حال الديمومة

والقداسة والمحبة الإلهية. ولكي يؤكِّد القديس بولس الرسول أنها حالـة تبنٍّ لله نفسه، يقول الوحي إن هذا التبنِّي هو "لنفسه"، بمعنى أنه تشوُّق إلهي عارم في ذات الله لكي يكون له أولاد يتبناهم لنفسه. وقد ترجم الوحي هذا الشوق بقوله: "حسب مسرة مشيئته"؛ وهو تعبير يكشف حالة مسرَّة دفينة في قلب الله. فالله سُرَّ وشاء أن يتخذ من البشر أولاداً بالتبنِّي، متَّحدين في المسيح ابنه، وواضح أنها مسرَّة أبوية.

د - «لمدح مجد نعمته التي أنعم بها علينا في المحبوب»:

وأخيراً يكشف لنا الوحي عن عمل الإنسان الأساسي، أو الغرض الحقيقي عند الله من خلقته ومباركته وتقديسه واتحاده بالابن وتبنِّيه لله حسب مسرَّة الآب؛ إذ يقول إن وظيفته الأساسية لدى الله تكون في وقوفه أمامه "لمدح مجد نعمته" بشبه الملائكة، ولكن في درجة أعلى بقدر ما يعلو البنون عن الخدم!

بهذا يكون الوحي قد أعطانا صورة واضحة أشد الوضوح عن تصوُّر الله لخلقة الإنسان في الأساس، وهو أن تكون خليقة سماوية ومباركة ومقدسة ومتَّحدة بالابن، ومخلوقة لتقف أمام الله - أي في حضرته - لتسبِّح وتمدح مجد نعمته، وهي حائزة على مسرَّة مشيئة الله؛ وأن موضوع التسبيح ومدح مجد نعمة الله هو ما سوف يقوم به الابن من عمليات فدائية وخلاصية جبَّارة معنا وفينا، التي يسمِّيها الوحي "النعمة التي أنعم بها علينا في المحبوب"، أي في الابن المسيح. هذه الصور البديعة كلها هي تصوُّرات الله فيما قبل الخلق وقبل تأسيس العالم، وقد كشفها الوحي المقدس لنكون على بيِّنة من أصل ومستوى خلقتنا العالي جداً الذي صحَّحه الله من عمق مسرَّة مشيئته ومن عمق حبِّه للابن الوحيد، ليكون الإنسان بالنهاية أقرب وأحب خليقة تقف أمامه وهي في حال الاتحاد مع الابن، لتسبِّحه وتمدح مجد نعمته.

بدء خلقة الإنسـان:

لم يبدأ الله بخلقة الإنسان من طبيعـة السـماء وبركاتهـا، ولا علـى مسـتوى الاتحاد بالابن، بل بدأ خلقة الإنسان من التراب ليرقى به علـى درجـات، حتـى بالنهاية ينقله النقلـة الأخـيرة مـن الأرض إلى السـماء. فهـذا هـو الله ومسـتوى حكمته وطول أناته وإتقانه، ولابد أن خليقته بالنهاية تنطق بهذا وتشهد له مـن صميم كيانها وخبراتها.

الدرجة الأولى:

كانت خلقة الإنسان من التراب كما قصَّ الوحي بالتدقيق في سفر التكوين: نفخ فيها الله، فصار الإنسان نفساً حيَّة.

وصمَّم الله أن تكون خلقة الإنسان على صورته كشبهه، وذلك ليس علـى مستوى الظـاهر، بـل باعتبـار مـا سـيكون في صميـم كيانـه الـذي يُستعلن في النهاية.

وكان الإنسان، بحسب تعليق الله في سفر التكوين، أنه "وجده حسناً جداً".

ولكن للأسف الشديد نحن لا ندري أيَّ حُسنٍ كان للإنسان؟ ولمـاذا كلمـة "جداً"؟ لأنها من فم الله تساوي شيئاً كثـيراً جـداً، إذ عندمـا نعـود إلى أنفسـنا لا نجد ذلك الحُسن ولا "جداً". إذن، فقد كانت خلقة الله الأولى صـورة قريبـة الشبه فعلاً من الله وذلك بسبب نفخـة الله، لأنهـا منـه، وبسـبب هـذه اللياقـة أبقاه الله معه في جنة الله التي يصفها القدَّاس الإلهي أنها كانت هي درجـة مـن الحياة الأبدية: "سقطنا من الحياة الأبدية، ونُفينا من فردوس النعيم".

آدم في الفردوس:

كانت طبيعة آدم الترابية حائزة على صفات روحيـة ومميزات خاصة عاليـة تؤهِّله للتواجد مع الله والحديث إليه والسـمع لـه؛ بـل وقبـول المعرفـة وانفتـاح

الوعي. واللغة التي كان يخاطب بها الله لم تكن بالفم أو باللسان، والكلام الذي يسمعه من الله ليس بالأذن وحاسة السمع؛ بل كان هذا كله بالتخاطب الفكري والسماع الداخلي، وهي من المواهب الراقية التي تنتمي إلى الروح أكثر منها إلى الجسد. كذلك المشاعر والعواطف، سواء التي يُعبِّر بها الإنسان، أو التي يستقبلها لم تكن حسيَّة جسدية إلاّ فيما يلتقطه الجسد من انفعالات النفس الروحية.

أما الضمير الذي تربَّى للإنسان في وجوده مع الله والتعلُّق به والتأثُّر بمحبته، فهو مركز من المراكز السرِّية جداً في كيان الإنسان الذي هو صورة مصغَّرة لتقدير الحق عند الله وميزان العدل الحسَّاس الذي انطبع في وجدان الإنسان من دوام قربه وسماعه لله وشدة تأثير توجيهات الله التي ترجمت عند الإنسان كقواعد للتفكير والتعبير والسلوك.

وباختصار، كان الضمير جزءًا من التخليق الذي ورثه الإنسان كأحد أعظم المواريث التي خرج بها الإنسان من لدن الله، وما زال يعيش بها على الأرض في ارتفاع وهبوط وتجلٍّ وضياع، لم تزده التعاليم أكثر مما كان في أصوله، ولكنه ضعف وتضعضع بطول الزمان والبعد عن الله.

ولكن يقف الضمير عند الإنسان عامة في مستواه الراقي دائماً وعلى ممر العصور، كأعظم شاهد على ميراثه الروحي من الفردوس الضائع، وكصورة باهتة تشهد من داخله عن قُربٍ كان له مع الله، وعن علاقة شديدة مع القدوس الأعلى، تقدِّم شهادتها في بعض النماذج البشرية كأعظم ما تكون الشهادة في كل عصر وفي كل جنس بلا تفريق، توحي بذاتها للوعي المفتوح عند الإنسان بعودة حتمية إلى ذات المنبع لاستئناف القصد؛ كما توحي بنوع النهاية التي سيكون عليها هذا الضمير بل والخليقة كلها، حينما تُرفع عنها

أسباب هذا الانحدار المريع، وتستعيد جمال القصد وكماله.

وعلى مستوى الضمير كأحد المواريث التي خرج بها الإنسان من الفردوس، الوعي الروحي، وهو جهاز حسَّاس دقيق للغاية للتفكير والاختزان الروحي، يشتغل العقل على نمطه، ولكن لا يُجاريه في القوة والعمق والدقة والاختزان الذي يفوق الزمن ويتخطّى اللحم والدم. وهو حينما ينشط في الإنسان بفعل الانشغال بالروحيات، يستطيع أن يستوعب الإدراكات العُليا التي تأتيه أو التي يستشفها من العالم الآخر، أو حتى من ما وراء الطبيعة، سواء كانت دينية أو موسيقية أو فنية. فهذه لغة الوعي الروحي للإنسان، ومن أعظم مواريثه التي خرج بها من لدن الله. والوعي الروحي الديني أو الأدبي أو الموسيقي أو الفني حقيقة تنطق من أين أتى الإنسان وإلى أين هو ذاهب. وهي تبلغ في مستواها عامة فوق المعقول كطفل في الثامنة يعزف مقطوعات أعظم موسيقار في العالم، أو صبي في العاشرة يقرض الشعر، أو فتاة قديسة تتكلّم بالإلهيات وتحكي عن المستقبلات. هذه كلها مذّخرات من خزانة الوعي الروحي للإنسان كعنصر من عناصر خلقته التي احتفظت ببريقها ولم يستطع الزمن أن يمحوها. وهذه أيضاً تحكي ليس عمَّا كانه الإنسان، بقدر ما تحكي عمَّا سيكونه حينما يبلغ القصد من خلقته البديعة التي تُحاكي الله.

وسواء الضمير والوعي الروحي، أو ـ فيما سبق ـ التخاطب الفكري مع الله دون الكلام، والسماع الداخلي والمشاعر والعواطف الروحية؛ فهذه كلها من مواريث خلقة الإنسان الأساسية التي حازتها من نفخة الله لتحاكيه في كل شيء ولا علاقة لها بالتراب. فحينما يفقد الإنسان جسده الترابي بالموت، تبقى فيه هذه المذّخرات الروحية لتنضم إلى مكوِّنات الخليقة الروحية الجديدة للإنسان.

ولكن كان بديهياً ألا تقوى خليقة ترابية على التوافق مع الله في حياة دائمة. فبعد مُدَّة لا يُعرف مداها ثبت عجز الخليقة الترابية، فلم تستطع أن تحتفظ بمستواها كخليقة شبه الله وعلى صورته؛ إذ استخدم آدم نفس حرية الإرادة والمعرفة التي وهبها له الله على مستوى صورته كشبهه، استخدمها في التعدِّي على وصية الله، أي على مشيئته وإرادته، بقصد أن يكون آدم وحواء كالله حاصلَيْن على معرفة الخير والشر. وهكذا فَقَدَ كلاهما حالة الخضوع التي فيها كانا يستمدان من الله المشيئة والمعرفة الخيِّرة دون اجتهاد، فسقطا من مستوى طبيعتهما الخيِّرة المطلقة، ودخلا مجال المعرفة الشريرة و لم يخرجا منها.

ولكن لم يحدث هذا كأنه كان غريباً عن معرفة الله، أو كأنَّ خلقة الله للإنسان كانت خاطئة بحدِّ ذاتها أو معيبة - حاشا - ولكن الله خلقها من تراب وآزرها بنفخته، لكي يكون الترقِّي من قِبَل الله وبإرادته وقوَّته، وإلاَّ يصبح طموحاً لو جاء من ذات الإنسان. كما أن الترقِّي عندما يجيء بإرادة الله يكون هو التحوُّل ممَّا للإنسان إلى ما هو لله. ولكن الذي حدث لآدم أنه بعصيانه انفصل عن الله وسقط عنه؛ بل وسقط من مستوى طبيعته المتقنة المتزنة، فَفَقَدَ إمكانية الترقِّي، وبالتالي استُهدِف إلى التدهور.

وبناءً على ظهور هذا العجز والقصور في الخلقة الترابية لم تقوَ على البقاء في مستوى الحياة مع الله، فكان يتحتَّم نزولها إلى ما دون مستوى طبيعتها التي أهَّلتها أن تحيا في الفردوس مع الله، إذ فقدت امتياز وجودها معه.

الدرجة الثانية في سُلَّم خلقة الإنسان:

كانت عقوبة الموت واللعنة التي وقع فيها آدم نتيجة لعصيانه هي في الحقيقة على مستوى خلقة التراب دون إجحاف من الله. فالموت هو في واقعه وحقيقته عودة إلى التراب. إذن، فعقوبة الموت كانت هي بعينها النزول إلى التراب. وأما

اللعنة فهي بعينها النزول من مستوى الحياة مع الله أو الخروج من حضرة الله أو البُعد عنه، وهذا صنعه الإنسان بيديه بعصيانه لله. فكان الموت بمفهوم العودة إلى التراب رحمة من الله حتى لا يبقى الإنسان عائشاً عجزه وقصوره إلى الأبد. فالموت بحدٍّ ذاته كان يحمل أملاً ورجاءً أنه بعد أن يستنفد الإنسان عجزه وقصوره يمكن أن يرفعه الله إلى الدرجة التي ليس فيها عجز أو قصور. علماً بأن العجز والقصور هو الذي حتّم بالموت وبالبعد عن الله أو اللعنة، وقد قَبِلَ كل هذا لكي بعد أن يستهلك عجزه وقصوره، أي يبلغ نهايتهما، يمكن أن يرفعه الله ليعود إلى مستواه الأول، ويرفع عنه الموت واللعنة بالضرورة.

وقد انقسمت الدرجة الثانية، وهي النزول إلى التراب إلى مرحلتين، ومنها يظهر كيف تدهورت طبيعة الإنسان الترابية واستبدَّ بها العجز والقصور.

المرحلة الأولى:

والتي بدأت بآدم وحواء، وامتدَّت إلى نسلهما، ونسمع عن هذا النسل سمعاً عجيباً يتوه فيه العقل. فنسمع عن آدم أنه عاش **٩٣٠** سنة ومات، وعاش شيث بن آدم **٩١٢** سنة ومات، وعاش آنوش بن شيث **٩٠٥** سنة ومات، وعاش قينان بن آنوش **٩١٠** سنة ومات، وعاش مهللئيل بن قينان **٨٩٥** سنة ومات، وعاش يارد **٩٦٢** سنة ومات، وعاش أخنوخ **٣٦٥** سنة ولم يمت بل إن الله أخذه، وكانت أيام متوشالح ابنه **٩٦٩** سنة ومات.

وهكذا سارت الأعمار على هذا المستوى حتى نوح، فجاء الطوفان وأهلك الله كل ذرية آدم بسبب "شر الإنسان"، واستبقى الله نوحاً وامرأته وبنيه ونساء بنيه، وعاش نوح **٩٥٠** سنة ومات. وهكذا انتهى جيل الأجداد بني آدم العمالقة.

ويستوقفنا هذا المستوى العجيب من أعمار هؤلاء الأجداد، فهي تدور حول

التسعمائة سنة. فأيٌّ إنسان كان هذا الإنسان، ما طوله وما وزنه؟ وأيٌّ مخٍّ له يقوى أن يعمل تسعمائة سنة؟ وبأي خلايا يعيش، والقلب أي قلب هذا وأي عضلات له وأي شرايين هذه التي تظل تضخ الدم تسعمائة سنة دون أن تبلى أو تمرض؟ نعم إن هذا الإنسان لعجيبٌ حقًّا. ويلزم أن نعيد أفكارنا وحساباتنا بخصوص هذه الدرجة من الخليقة الترابية. كيف يعيش الإنسان ما يقرب من ألف سنة، والعالم من الميلاد حتى الآن بمجرد ألفي سنة!؟

نفهم من هذا أن الدرجة التي هبط إليها آدم فور خروجه من حضرة الله كانت تحمل آثاراً واضحة غاية الوضوح من الصورة **المتقنة والحسنة جداً** التي خلق الله الإنسانَ عليها في البدء. فمجرد أن يسمع أي عالم أنثروبولوجي اليوم عن إنسان عاش ٩٦٩ سنة يخرج عن وعيه، وأقل نعت ينعت به هذه الخلقة هي أنها فائقة جداً على كل مستويات العقل وتصوُّراته وقادرة أن تنسف كل حسابات المستوى الطبي الذي تعمل عليه وبه أجهزة الإنسان الآن، وأنها من طبيعة تفوق العقل. هذا حقٌّ، لأنها كانت لا تزال تحمل بصمات خالقها قبل أن يبلوها الزمن ويستهلكها الإنسان بحماقاته.

المرحلة الثانية:

وبدأت بإبراهيم، حيث تناقص العمر بدرجة منحدرة انحداراً شديداً، إذ كان عمره ١٧٥ سنة ومات. وظلت بعد ذلك تتناقص الأعمار بغاية السرعة حتى صارت في متوسطها أيام داود النبي ٧٠ سنة، ومع الشدة فثمانون، أفخرها تعب وبليَّة (مز ٩٠: ١٠). وهكذا بدأت الطبيعة الترابية تتآكل، إذ استهلكتها السنون والأمراض والجهالات، ولكن الزمن كان أقوى العوامل لبلوغ الإنسان آخر انحداره، حيث بلغت الطبيعة الترابية للإنسان أضعف منتهاها، وأصبح العجز العام والقصور فيها يمنع استمرارها في الحياة. وبلغ شخص الإنسان المرتبط بهذه الطبيعة الترابية في انحدارها والذي يمثل العجز والقصور فيها إلى منتهى التدنِّي في الأخلاق

والسلوك والبُعد عن ا لله، أي اللعنة. وتآكلت كل صفاته الطبيعية، حتى تلقّفه ا لله ليصنع فيه مشيئته حسب تدبيره الأزلي، ويمدّه بآخر درجة من درجات ترقّيه، وذلك بنقله نقلة كاملة من الطبيعة الترابية إلى الطبيعة السماوية ببركاتها الأبدية في المسيح.

بدء مراحل الصعود بالطبيعة البشرية من التراب إلى السماء، أو على الأصح خلقتها الجديدة

أصبح الآن واضحاً أنه يتحتّم أن تأتي قوة تغيير هذه الطبيعة أو تجديدها من خارجها ومن الله نفسه، بحسب قصد الله الأزلي وحسب خطته التي وضعها من قبل تأسيس العالم؛ وذلك بأن لا يقف الإنسان المختار والمعيَّن للحياة أمام ا لله وحده، بل أن يكون "في المسيح يسوع" بحسب التدبير: «اختارنا فيه (في المسيح) قبل تأسيس العالم». وهنا يتضح منذ البدء الارتباط الأساسي والدائم في خلقة الإنسان بشخص المسيح حتى ينال القدرة والتأهيل أن يحيا أمام الله في السماء ويسبِّحه، على أساس "النعمة" التي سينعم بها الله علينا في المسيح يسوع. فأساس الخلقة للإنسان هي نعمة الله في المسيح.

البداية "قبل تأسيس العالم":

أول شيء لكي يرتفع الإنسان بطبيعته من التراب إلى التواجد في السماء، يلزم أن يتخلّى نهائياً عن الطبيعة الترابية التي حملها وعاش بها مثقّلاً قروناً طويلة من الزمان بسبب عقوبة الموت واللعنة، لكي يمكنه أن يأخذ خلقة جديدة لطبيعة جديدة وذات بشرية جديدة، ذلك في المسيح ومن طبيعته. ونحن قد سمعنا وتحقّقنا أن الإنسان بُدئ في التدبير لخلقته «**قبل تأسيس العالم**»، أي قبل الزمن، أي في الأزلية. كما أننا سمعنا وتحقّقنا أن خلقة الإنسان هي على

أساس التواجد الدائم والأبدي في المسيح في السماء: «باركنا بكل بركة روحية في السماويَّات في **المسيح**، كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم، لنكون قديسين وبلا لوم **قدَّامه** في المحبة» (أف ١ :٣و٤). لذلك أصبح من البديهي أن يبدأ تدبير الله "من المسيح" و"قبل تأسيس العالم"، أي في الأزلية، حيث المسيح كان هو "الكلمة" الذاتي لله (أي الناطق والفاعل لذات الله، حيث الكلمة هي نطق وفعل). وهكذا تعيَّن قبل تأسيس العالم أن يكون "الكلمة" هو مسئول الخَلْق للإنسان، وأن من طبيعته ومن ذاته يخلقه.

"ولما جاء ملء الزمان":

"جاء ملء الزمان" معناها أن زمان الإنسان على الأرض في تغرُّبه عن الله، وهو في طبيعته الترابية يشقى، قد بلغ المنتهى في تدبير الله - دون أن يلحظه الإنسان - بمعنى أن الإنسان قد استوفى عقوبته ولعنته على الأرض، وجاءت ساعة الرِّضا والخلاص ليبدأ الله عملية إصعاد الإنسان من التراب، أو خلقته الخلقة الجديدة بحسب تدبيره الأزلي.

وهذا يفيد أن مقابل الحركات التي ستبدأ على الأرض كان يتحتَّم بحسب التدبير أن تبدأ حركات مماثلة في السماء بالنسبة "للمسيح" أي مع "الكلمة"، لأن لحظة البدء على الأرض يلزم أن تكون السماء قد أكملت ترتيبها ليحدث البدء، أي بدء الخلقة في السماء والأرض معاً وبآن واحد. لأنه - كما سبق وقلنا - فإن خلقة الإنسان الروحية في السماء هي قائمة "في المسيح" أي "في الكلمة".

الذي حدث في السماء إعداداً للخلقة الجديدة للإنسان:

أما القائد والرائد الذي يدلّنا على معرفة الذي حدث في السماء فهو بولس الرسول، إذ يقول الوحي على لسانه في موضعين:

الأول: «فليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع أيضاً (يقصد هنا

الكلمة في السماء) الذي إذ كان في صورة الله لم يحسب خُلسة أن يكون مُعادلاً لله. لكنه **أخلى نفسه** (ἑαυτὸν ἐκένωσεν)، آخذاً صورة عبد، صائراً في شِبه الناس.» (في ٢: ٥و٦)

الثاني: «ولكن لَمَّا جاء ملءُ الزمان، أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة.» (غل ٤: ٤)

إذن، واضح أمامنا أنه لكي يُرسِل الله ابنه أي الكلمة وهو قائم دائم في صورة الله، لَزِمَ لهذا الابن لكي ينزل على الأرض ويأخذ صورة إنسان أن يُخلي ذاته. والإخلاء هو تفريغ الذات، والقصد أنه أفرغ ذاته من مجد الألوهة (وليس ترك اللاهوت) حتى يستطيع أن يلبس جسد إنسان ويظهر به أمام الناس فيروه ولا يرتعب منه أحد، ويستطيع أن يعيش كإنسان دون أن يفقد جوهر لاهوته وفاعليته؛ أي يعمل أعمال الله ويُرَى كإنسان وهو الإله. فكان إخلاء الابن لذاته هو أول حركات الخلقة للبشرية الجديدة التي تمّت في السماء.

الذي حدث في الأرض إعداداً للخلقة الجديدة للإنسان:

أما على الأرض، فقد أحدث الله حركات تاريخية كبيرة وعديدة إعداداً لنزول الابن وظهوره على الأرض. ويستحيل علينا أن نجمعها هنا، ولكن نختصرها للغاية. فالله أقام إمبراطوراً للرومان غزا جميع أقطار الأرض وأخضعها لروما، ونشر اللغة اليونانية والرومانية بالإلزام، وأصلح الطرق في جميع البلاد والمدن حتى أن أي تاجر مسافر يعبر جميع البلاد بأمواله آمناً حتى يصل روما، وأقام المحاكم الرومانية في جميع أقطار الأرض، فكان أن ساد الأمن والعدل. وهكذا استعدَّت الأرض لاستقبال الملك السمائي القادم من قِبَل الله.

بدء ظهور الخلق السماوي: "أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة":

كنّا قد عرفنا أن "الكلمة" ابن الله أخلى ذاته من مجد الألوهة استعداداً

للنزول على الأرض ليأخذ جسد إنسان يظهر به ليكمِّل فيه عملية خلقة الإنسان الجديد.

وبالفعل أخذ الكلمة جسداً له مولوداً من الروح القدس ومن عذراء قديسة، ودعاه الملاك قبل أن يولَد: "القدوس ابن الله". وظهر كإنسان وعَبَرَ على جميع مراحل نمو الإنسان. هنا، في الحقيقة، كان الابن الكلمة هو النموذج الأعلى والأسمى والأقدس للإنسان الجديد منذ ولادته حتى صعوده إلى السماء. لذلك سُمِّي بآدم الثاني أو آدم الجديد أبي الخليقة الجديدة للإنسان.

واضح أنه يمكن أن تُحسب طبيعته طبيعة بشرية لأنها مأخوذة من الإنسان (من عذراء قديسة)، ولكنها تُحسب بكل تأكيد ويقين أنها طبيعة إلهية بآنٍ واحد، فصاحبها هو ابن الله، فهي سماوية وطاهرة وقدوسة. والذي يقيمها وإنْ كان يُرَى أن له صورة الإنسان؛ ولكنه، في الحقيقة وفي غير المنظور، هو الكلمة ابن الله والقائم في صورة الله.

إلى هنا يكون الله قد صنع **عيِّنة سماوية للإنسان الجديد كنموذج أعلى** وأكمل وأقدس للبشرية الجديدة التي بدأت تنفصل عن تراب الأرض، وأُعِدَّتْ بقوة إلهية سماوية للحياة مع الله في السماء متَّحدة بالابن القدوس.

ولكن كان الفرق بين طبيعة الكلمة المتجسِّد وطبيعة الإنسان الترابي فرقاً شاسعاً جداً كالفرق بين تراب الأرض وقداسة السماء والله، أو بين السالب والموجب. وهذا الفرق يتضح حينما ندرك أن ابن الله طبيعته سمائية قدوسة؛ بينما طبيعة الإنسان قد بلغت إلى درجة من العجز والقصور، وتراكم فوقها عَبْرَ آلاف السنين خبرات النجاسة والفجور والشهوات الدنسة والولع بكل المُوبِقَات، بالإضافة إلى انحطاط الأخلاق والسلوكِ من قتل وكذب وبغضة وعداوة وسلب ونهب وشراسة وكل دنايا الأخلاق والجهالات. هذه كلها

انعجنت بها الطبيعة البشرية وملكت على الشخصية الإنسانية. فكان لابد قبل أن يلبس الإنسان طبيعته الجديدة القدوسة السمائية، أن تُفرَّغ الطبيعة البشرية من عجزها وقصورها وكل ما آل إليها من خبرة التراب في العالم، كما يُفرَّغ الإنسان ذاته أيضاً من هذه المواريث بكل خبراتها التي لحقت بشخصه، أي تُفرَّغ الطبيعة وصاحب الطبيعة معاً وبآن، لكي تأخذ الطبيعة الجديدة مِلْئها السماوي وكذلك تأخذ ذاتاً سماوية يرثُ بها الإنسان السماويَّات.

فكان على ابن الله المتجسِّد أن يعمل هذين العملين معاً للإنسان الترابي: يرفع عن طبيعته الترابية وعن ذاته الترابية عجزها وقصورها الترابي وما اختزنه الإنسان في نفسه من هذه الخبرات؛ حتى يستطيع أن يعطيه من جسده الجديد الإلهي ومن ذاته القدوسة طبيعة جديدة وذاتاً جديدة لها كمالها السماوي الذي يمكن أن تقف به أمام الله.

وبالفعل رَضِيَ الابن الكلمة المتجسد بتدبير الآب، أن يأخذ في طبيعته وفي نفسه كل مناقص وفضائح وعيوب وقصور الطبيعة البشرية التي اقتنتها لنفسها طول غربتها عن الله وهي على الأرض تحت العقوبة؛ كما يأخذ لنفسه نفس العقوبة بالموت واللعنة الواقعة على الطبيعة البشرية الترابية وعلى الذات البشرية القائمة عليها والمسئولة عنها. وهكذا تقرَّر في التدبير الإلهي أن يقف الابن بهذه الحال وعليه هذه العقوبة أمام الله، لا نائباً عن البشرية أو ممثِّلاً لها، بل حاملاً إيَّاها في جسده وفي نفسه، لينال معها (من أجلها) الحكم بالموت وجزاء اللعنة.

كيف استطاع ابن الله المتجسِّد أن يأخذ في جسده وفي نفسه خطايا الإنسان وموته ولعنته؟

نعلم، ومنذ أول خدمة المسيح، كيف ظهرت خطة الله في تقديم ابنه حاملاً جسد الإنسان وخطيته ذبيحةً على الصليب. فقد كشف المعمدان خطة الله

كأول استعلان عن عمل المسيح: «هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم» (يو ١: ٢٩)، بمعنى أن يكون ذبيحة خطية عن العالم. وقد صدَّق المسيح على ذلك مراراً بقوله إنه سيتألم ويُصلب ويموت وفي اليوم الثالث يقوم، بمعنى أن المسيح بحسب تدبير الآب رَضِيَ أن يكون كفَّارة عن خطايا وذنوب الإنسان ليفديه، بأن يأخذ معه عقوبة الموت واللعنة في جسده وفي نفسه على الصليب، وبهذا يكمِّل فداء الإنسان. علماً بأن الخطة كانت جاهزة **قبل** تأسيس **العالم** كما رآها القديس بطرس بالروح:

+ «عالمين أنكم افتُديتم لا بأشياء تَفْنَى، بفضة أو ذهب، من سيرتكم الباطلة التي تقلدتموها من الآباء، **بل بدم كريم، كما من حَمَلٍ بلا عيب ولا دنس، دم المسيح، معروفاً سابقاً قبل تأسيس العالم**، ولكن قد أُظْهِرَ في الأزمنة الأخيرة من أجلكم.» (١بط ١: ١٨-٢٠)

ولكن أهم ما يعنينا هنا في عملية الفداء العُظمى التي قام بها المسيح ابن الله المتجسِّد، سواء بحمله خطايا الإنسان أو قبوله حكم الموت معها (من أجلها) أن المسيح قام بها **ليس عن الإنسان، بل في الإنسان ومن أجل الإنسان الذي يحمل جسده ويحمل نفسه، لأن ابن الله لم يُصلب ولا قَبِل الموت عن نفسه** ـ حاشا ـ بل إن ابن الله، إذ قد أخذ جسد الإنسان **وكان قدوساً وبلا خطية**، ثم حمَّل هذا الجسد القدوس جميع خطايا وذنوب وعصيان الإنسان؛ فصار ابن الله حاملاً الجسد العتيق الترابي للإنسان ذاته بكل معنى ويقين، ووقف أمام الله مسئولاً عنه باعتباره أنه هو الإنسان صاحب الطبيعة الترابية بخطاياها، وبآن واحد في اعتبار الله أبيه أنه هو هو الابن الذي نزل ليكمِّل خلقة الإنسان في ذاته، كيف؟

ما حدث في جثسيماني:

ما حدث في جثسيماني كان هو المرحلة الحاسمة من مراحل الفداء الخفية بين الآب والابن، لأننا رأينا في **الإخلاء** الذي أجراه الكلمة الذاتي في نفسه

أول عمل من أعمال الفداء التي قام بها ابن الله لخلق طبيعة جديدة للإنسان سماوية، يحيا بها في السماء. أما في العمل الثاني بلا منازع فكان **التجسُّد**، حيث إن الكلمة ابن الله بعد أن أفرغ ذاته من مجد لاهوته (وليس من لاهوته)، اتّخذ لنفسه جسد عبد، أي إنسان، واتّخذه لنفسه إلى الأبد. فكان التجسُّد أعظم حدث تمَّ على مستوى السماء والأرض وربط الإنسان بالله إلى الأبد.

والآن نأتي إلى المرحلة الحاسمة من الفداء: كيف يفدي المسيحُ الإنسانَ من الموت واللعنة؟ وهنا نسمع المسيح وهو يصلّي في جثسيماني إلى الآب «بصراخ شديد ودموع» كما يقول سفر العبرانيين (٥:٧). وكما تصفه الأناجيل الثلاثة أنه كان يصلّي* «بأشد لجاجة، وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض» (لو ٢٢:٤٤)! مصرِّحاً أمام تلاميذه أن نفسه قد بلغت من الحزن حدّ الموت! «نفسي حزينة جداً حتى الموت» (مت ٢٦:٣٨)، ثم انكشف السبب الذي زلزل هكذا نفسية المسيح ابن الله الكلمة المتجسِّد؛ إذ ظهر أن محور طلبة المسيح وتوسُّله الشديد إلى ثلاث مرات بصلاة وركوع هو لكي يُجيز الآب عنه «**هذه الكأس**».

أما ما هي هذه الكأس؟ فقد عجز علماء اللاهوت عن التعرُّف على «هذه الكأس»، إذ قالوا إنها كانت رعبة الموت، وأن المسيح جاء في النهاية وارتعب من الموت!! وهذا التفسير معيب لا يتناسب قط مع المسيح. فالمسيح ليس أقل من الشهداء الذين كانوا يسخرون من الموت ومن الجلادين ويقدِّمون أجسادهم للنار وللوحوش بفرح بسبب قوة الرجاء والحياة التي فيهم. فهل يقشعر المسيح من الموت ويتخاذل ويصرخ بدموع إلى الآب أن ينجيه من الموت؟ فلماذا، إذن، أخلى ذاته؟ ولماذا تجسَّد؟ وبحسب قوله: «لأجل هذا أتيت إلى هذه الساعة!!» (يو ١٢:٢٧)

أما الحقيقة فهي أن هذه الكأس تعبِّر عن كيف سيشرب المسيح خطايا البشرية وعارها، ويظهر علناً على الصليب حاملاً فضيحتها من زنا وقتل وتجديف على الله. فأمام تَحَمُّل الصليب كان عليه أن يقرِّر: هل يقبل أن يكون صانع كل هذه الخطايا حتى يمكن أن يُصلب ويموت؟ وإلا لو كان المسيح تقدَّم بجسده على أنه هو القدوس فكيف يُحكَم عليه بالموت؟ بل وكيف يموت؟ ولا يموت إلاَّ مَنْ كان خاطئاً. وكيف يقبل اللعنة على الصليب إلاَّ مَنْ كان مجدِّفاً على الله؟! والآن كيف يقبل ابن الله المتجسِّد كلِّي القداسة والمجد أن يقف أمام أبيه كإنسان زانٍ ونجس وقاتل ومجدِّف، ناهيك عن كل الخطايا الأخرى؟ كيف والعلاقة بين الآب والابن لا تسمح، فسمة الابن الأولى والعُظمى هي الطاعة لأبيه. فكيف يقف أمامه كمجدِّف؟! والطبيعة الواحدة للآب والابن تتَّسم بالقداسة، وكيف يقف الابن أمام الآب نجساً زانياً؟! إلى هنا ونعود إلى الصلاة والركوع والصراخ والدموع، لماذا كانت؟ والتوسُّل لثلاث مرات أن يعبر عنه هذه الكأس!

واضح هنا أن طبيعة الابن وذاته القدوسة وَجَفَتْ وارتعبتْ بحكم قداستها من أن تقف أمام الآب مجدِّفة. وظل الابن رافضاً كأس خطايا الإنسان وفضيحته أن تُنسب ذاتياً للابن، فهذا يطال علاقته بالآب فكيف يقبل؟؟ ولكن يدخل هنا عنصر التجسُّد، أي وضع الابن الجديد أمام الآب حاملاً أصلاً ما ليس له، وهو جسد الإنسان. فمشيئة الابن يدخلها عنصر ما ليس له، إذ يدخل فيها حال الجسد البشري الذي يلبسه، الذي امتنع عليه قبول هذه الخطايا وهو القدوس. وهنا بلغت المضادة أقصى توترها. وبعد رفض الآب لثلاث مرات أيضاً وهو يرفض اعتذار الابن وتمنُّعه، سلَّم الابن المتجسِّد المشيئة للآب، وقَبِلَ المسيح أن يشرب كأس خطايا البشرية **طاعة للآب** فقط: «لتكن لا إرادتي بل إرادتك» (لو ٢٢:٤٢). وكان هذا هو الفداء الأعظم، أو أعظم ما في الفداء.

إذن، فجثسيماني تقع في خريطة الفداء مكان البؤرة شديدة اللمعان.

هنا تبدأ المضادة دخولها عملياً على حياة المسيح. كيف يمارِس المسيح حكم الموت واللعنة مع (من أجل) البشرية كلها!! إلاَّ بحكم إدانة رسمية عالمية موثَّق عليه من الأرض كلها بكل شعوبها. فأولاً من قضاة الناموس القوَّامين على الناموس الذي يقضي وحده بالموت أمام الله، ثم يتحتَّم لكي يُنفَّذ حكم الموت أن يصدِّق عليه كل الأمم ممثَّلين في محكمة عالمية لها قاضيها الرسمي، وبعد مناقشة واتهام وثبوت التهمة حتَّى يموت أمام العالم. وهذا ما تمَّ، إذ بعد جثسيماني بل وأثناءها قُبض على المسيح، وبعدها مباشرة بدأت المحاكمات. وكان أهم عنصر في المحاكمات الذي تاه عن عقول معظم الشُّرَّاح والمفسرين، موقف المسيح الصامت وهو يسمع الاتهامات سواء أمام مجلس السنهدرين في جلستين: واحدة مسائية والأخرى صباحية، أو أمام هيرودس، أو أمام بيلاطس:

أمام رئيس الكهنة: «فقام رئيس الكهنة في الوسط وسأل يسوع قائلاً: أما تُجيب بشيء؟ ماذا يشهد به هؤلاء عليك؟ **أما هو فكان ساكتاً ولم يُجِبْ بشيء.**» (مر ١٤: ٦٠و٦١)

أمام هيرودس: «وسأله بكلام كثير **فلم يُجبْه بشيء.** ووقف رؤساء الكهنة والكتبة يشتكون عليه باشتداد.» (لو ٢٣: ٩و١٠)

أمام بيلاطس: «فسأله بيلاطس أيضاً قائلاً: أما تُجيب بشيء؟ انظر كم يشهدون عليك! **فلم يُجِبْ يسوع أيضاً بشيء حتى تعجَّب بيلاطس.**» (مر ١٥: ٤و٥)

واضح أن أمامنا هنا **خطة المسيح التي تمسَّك بها أن لا يرد ولا يدافع عن نفسه قط أمام كل الاتهامات، بل إنه لم يراجع القضاة، الأمر الذي تعجَّب**

منه بيلاطس، وتعجُّبه كان لأنه قاضٍ ويُدرك أن صمت المتهم عن الدفاع عن نفسه لينفي عن نفسه جميع الاتهامات معناه ثبوت التهمة أي ثبوت كل أنواع الخطايا التي نُسبت إليه أنه اقترفها بالفعل ولم يرد عليها. وبناءً عليه يكون قد أصبح الحكم عليه بالعدل، لأنه قَبِلَ أن تُنسب إليه هذه الخطايا.

والآن يتضح أمام القارئ أن المسيح أخذ عملياً كل خطايا الإنسان: فهو مجدِّف على الله، ومُفسد للأُمة، وصانع شر؛ ولكن أخطرها أنه يجدِّف على الله التي عقوبتها الصَّلْب كملعون. ولذلك بارْتفاع المسيح على الصليب راضياً وبإرادته أثبت بالفعل والحق ما قاله القديس بطرس إنه: «**حمل هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة**» (١بط ٢: ٢٤)، وصُلِب بمقتضاها ومات أيضاً كذلك: «المسيح افتدانا من لعنة الناموس، إذ صار لعنة لأجلنا، لأنه مكتوب: ملعون كل مَنْ عُلِّق على خشبة.» (غل ٣: ١٣)

هنا الفداء يأخذ أقوى معناه، بل أقوى فعله؛ إذ مات المسيح حاملاً خطايا الإنسان واللعنة على الصليب، ونزل إلى القبر ودُفن وبَقِيَ في حالة الموت ثلاثة أيام ليُحسب موته موتاً كاملاً، وذلك بجسده حاملاً البشرية بكل خطاياها ولعنتها وكل عارها.

ولكن يتحتّم أن ينتبه كل إنسان أن الخطايا واللعنة التي حملها المسيح في جسده ومات بها، ليست خطاياه، فهو بقِيَ كما هو القدوس الذي بلا خطية. لذلك تحتّم أن يقوم من بين الأموات بجسد بشريته نفسه الذي مات به، ولكن بعد أن أكمل في جسد بشريته عقوبة الإنسان بالموت واللعنة. وهكذا قام بجسد البشرية وقد سقطت جميع الخطايا عنه، وسقط الموت واللعنة أيضاً. فأصبح جسد بشريته جديداً طاهراً قدوساً غالباً الخطية والموت والهاوية، وإذ ارتفع عن الأرض أوضح بالبرهان المنظور نوع القوة الإلهية الرافعة من الموت والتراب،

وقد انفصل نهائياً عن الأرض والتراب. ولَمَّا صعد المسيح بالجسد ـ الذي مات به وقام ـ إلى السماء، برهن بالبرهان العملي المنظور كيف بعد القيامة سيرتفع بنا المسيح لنستوطن السماء معه وفيه.

تسليم المسيح جسد القيامة الجديد الذي غَلَبَ به الموت والهاوية إلى كل مَنْ يؤمن بالمسيح:

كان هذا ختام العمليات الكبرى للفداء التي قام بها الكلمة ابن الله المتجسِّد، حينما ارتفع بالجسد الذي أخذه من البشرية قائماً به من بين الأموات باعتباره جسد البشرية الجديد، باعتباره النموذج الأعظم للبشرية الجديدة التي خلقها المسيح في جسده من ذاته وشخصه وعلى صورته ولها كل علاقته بالآب: «أيها الآب البار، إن العالم لم يعرفك، أما أنا فعرفتك، وهؤلاء عرفوا أنك أنت أرسلتني. وعرَّفتهم اسمك وسأُعرِّفهم، ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به، وأكون أنا فيهم» (يو ١٧: ٢٥و٢٦). وهكذا أعدَّ المسيح البشرية الجديدة للصعود والحياة مع الله في السماء.

والآن جاء دور تسليم عيِّنة كاملة من جسد المسيح هذا القائم من بين الأموات بمجد الله، وذلك في المعمودية بالسر الإلهي الذي هو "سر الخلق الجديد" غير المنظور للإنسان أو "سر ميلاده الثاني من فوق بالروح من المسيح" لكل مَنْ يعترف ويؤمن ويشهد بموت المسيح وقيامته على الصليب. ما معنى هذا؟

معناه أن المسيح بالتجسُّد والموت والقيامة، خلق في نفسه الإنسان الجديد كاملاً قديساً طاهراً حائزاً على البنوَّة لله في الابن الكلمة الذي هو الابن الوحيد قبل التجسُّد كما هو بعد التجسُّد. فأقنوم الابن تجسَّد بكل ما له، غير أنه أفرغ ذاته من مجده الإلهي حتى يستطيع أن يتجسَّد وحتى يُرَى للناس كإنسان. وعلى الصليب أكمل فدية الإنسان وهيَّأه بالسر الإلهي، لكي يتقبَّل

الإنسان جسداً روحياً جديداً من جسد المسيح القائم من الموت عِوَض جسده العتيق الترابي الذي أماته المسيح على الصليب. وها هو في المعمودية يشترك الآب والابن والروح القدس في خلع الجسد العتيق بطبيعته الترابية عن الإنسان وإلباسه الخليقة الجديدة:

+ «إذ خلعتم الإنسان العتيق مع أعماله (في المعمودية)، ولبستم الجديد (الإنسان الجديد) الذي يتجدَّد للمعرفة حسب صورة خالقه.» (كو ٣:٩و١٠)

أما إذا استغرب الإنسان هذا العمل الفدائي كخلقة جديدة فعلية، فَعَلَيْه أن يسمع من المسيح ما علَّم به نيقوديموس عندما استغرب استعلان الميلاد الثاني من فوق من الماء والروح، فردّ عليه المسيح قائلاً: «المولود من الجسد جسد هو، والمولود من الروح هو روح. لا تتعجَّب أني قلتُ لك: ينبغي أن تُولَدوا من فوق. الريح تهبُّ حيث تشاء، وتسمع صوتها، لكنك لا تعلم من أين تأتي ولا إلى أين تذهب. هكذا كل مَنْ وُلِدَ من الروح» (يو ٣:٦-٨). أي أن الخلقة الجديدة للإنسان، وهي الميلاد الروحي الثاني للإنسان من الماء والروح في المعمودية، هي عمل فائق على الطبيعة لا يُرَى لأنه يحدث بقوة الله الخالقة بالسر الإلهي في الخفاء شأن كل أعمال الروح.

وكما يقول الوحي على لسان بولس الرسول إن الذي يحدث في المعمودية بالنسبة للإنسان هو هو بعينه ما حدث على الصليب؛ فعندما مات المسيح بالجسد، مات الإنسان العتيق بطبيعته العتيقة، أي الذات البشرية العتيقة المسئولة عن الجسد العتيق. وكما قام المسيح بجسد البشرية الجديد الغالب الخطية والموت والهاوية والعالم، هكذا أقام الله لنا بالروح الإنسان الجديد بطبيعة جديدة مأخوذة سرًّا من قيامة المسيح بكل صفاتها الجديدة التي قام بها من بين الأموات، حيث تتغيَّر الذات: "أنا الإنسان" الترابية التي كانت مربوطة بالجسد العتيق، لتأخذ صورة ذات المسيح

القائم من بين الأموات:

+ «ونحن جميعاً ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف، كما في مرآة، نتغيَّر إلى تلك الصورة عينها، من مجد إلى مجد، كما من الرب الروح.» (٢كو ٣:١٨)
+ «وتلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب (مثل) الله في البر وقداسة الحق.» (أف ٤:٢٤)
+ «سيغيِّر شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده.» (في ٣:٢١)

ولكن يهمنا جداً أن لا يغيب عن بالنا قط أن هذه الخلقة الجديدة للإنسان ليست حرَّة ولا مستقلة بذاتها، بل "**مخلوقة في المسيح**" ومتَّحدة به ولا تستطيع أن تنفصل عنه أو تفارقه قط. فاتحادها بالمسيح هو أعظم عنصر فيها، وهو الضامن لخلاصها ودوامها وترائيها في السماء أمام الله تسبِّحه كخليقة سماوية إلى الأبد:

+ «**مخلوقين في المسيح يسوع** لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدَّها لكي نسلك فيها.» (أف ٢:١٠)

وبهذا نكون قد وصلنا إلى آخر مرحلة من مراحل الفداء، وبلغنا الخلقة الجديدة للإنسان التي قصدها الله في نفسه قبل تأسيس العالم: «كما اختارنا **فيه** (في المسيح) قبل تأسيس العالم، لنكون قديسين وبلا لوم قدَّامه في المحبة، إذ سبق فعيَّننا للتبنِّي بيسوع المسيح لنفسه، حسب مسرَّة مشيئته» (أف ١:٤و٥). أما البركة الروحية التي باركنا الله بها في السماويَّات، فهي التي نعيشها الآن جزئياً وننتظر كمالها بفارغ الصبر عندما ننفض عنَّا الجسد العتيق النفضة الأخيرة[1] بانتظار القيامة

---

(١) «استيقظي استيقظي البسي عِزَّكِ... **انتفضي من التراب**، قومي اجلسي يا أورشليم، انحلِّي من رُبُط عُنُقكِ.» (إش ٥٢:١و٢)

العتيدة أن تكون حينما يتجلّى فينا الإنسان الجديد في بهاء نور المسيح.

أما تواجد الخليقة الجديدة للإنسان بصورة دائمة وأبدية في السموات مع المسيح وفيه حسب قصد الله الأزلي الذي أعلنه، فتقول الآية بالحرف الواحد:

+ «أقامنا معه، **وأجلسنا معه في السماويّات في المسيح يسوع**، ليُظهر في الدهور الآتية غِنَى نعمته الفائق، باللطف علينا في المسيح يسوع.» (أف ٢:٦)

ويضيف إليها القديس يوحنا:

+ «أيها الأحباء، الآن نحن أولاد الله، ولم يُظهَر بعد ماذا سنكون. ولكن نعلم أنه إذا أُظهر **نكون مثله**، لأننا سنراه كما هو (فينا). وكل مَنْ عنده هذا الرجاء به يُطهِّر نفسه كما هو طاهر.» (١يو ٣:٢و٣)

انظر الآن أيها القارئ، كيف أن خلقة الإنسان كانت منذ الأزل قبل تأسيس العالم ولا زالت ولا تزال شغل الله الشاغل. وانظر وتأمل، كم تنازل، كم بذل، كم ضحَّى ليخلق الإنسان بالنهاية خلقة سماوية مباركة بكل بركة روحية في السماويَّات. وانظر مدى الدقة في الخطوات التي تمّت في الخلق وبعد الخلق هذه الألوف من السنين. وكيف أدّت كل مرحلة إلى المرحلة التي تليها بكل قصد وحكمة، لتبلغ في النهاية إلى مقصدها المحفوظ في السموات قبل تأسيس العالم، لتحيا مع الله بحالٍ من القداسة والمحبة يليق بخليقة روحانية تقف أمام الله تسبِّحه وتمدح مجد نعمته إلى أبد الآبدين.

(فبراير ١٩٩٧)

قيامة المسيح

إعلان ميلاد الخليقة الجديدة في الإيمان المسيحي

□✞□✞□

+ «لأننا نحن عمله، مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة، قد سبق الله فأعدَّها لكي نسلك فيها.» (أف ٢: ١٠)

يُلاحَظ من هذه الآية، وبحسب موضعها في الرسالة، أن العمل الصالح هنا هو هاجس الخليقة الجديدة وشاغلها الشاغل؛ وليس هو الواسطة أو الوسيلة التي تؤدِّي إلى الخليقة الجديدة. ومع أن طبيعة الخليقة الجديدة التي صارت لنا بالقيامة هي من عمل النعمة المحض، ولم تستلزم منّا عملاً مسبقاً ولا حتى سؤالاً أو صلاة، إذ أنها أُعطيت لنا كهبة عامة ونحن مغروسون بالجهالة في صميم الخطية والتعدِّي؛ إلاَّ أننا بمجرد أن نحصل على هذه الخليقة الجديدة وندخل في مجالها الحي نُطالَب في الحال بالأعمال اللائقة بها:

+ «وأنتم إذ كنتم أمواتاً بالذنوب والخطايا، التي سلكتم فيها قبلاً حسب دهر هذا العالم، حسب رئيس سلطان الهواء، الروح الذي يعمل الآن في أبناء المعصية، الذين نحن أيضاً جميعاً تصرَّفنا قبلاً بينهم في شهوات جسدنا، عاملين مشيئات الجسد والأفكار، وكنّا بالطبيعة أبناء الغضب كالباقين أيضاً؛ الله الذي هو غني في الرحمة، من أجل محبته الكثيرة **التي أحبَّنا بها، ونحن أمواتٌ بالخطايا أحيانا مع المسيح، بالنعمة أنتم مُخلَّصون، وأقامنا معه، وأجلسنا معه في السماويَّات في المسيح يسوع، ليُظْهِرَ في الدهور الآتية غِنَى نعمته الفائق باللطف علينا في**

المسيح يسوع. لأنكم بالنعمة مُخلَّصون، بالإيمان، وذلك ليس منكم، هو عطية الله. ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد. لأننا نحن عمله، مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدَّها لكي نسلك فيها.» (أف ٢: ١–١٠)

ويُلاحَظ من الآية الأخيرة أن الأعمال المفروض أن نسلك فيها هي أعمال تتبع منهجاً خاصاً سبق الله فأعدَّه وأوصى به في الإنجيل، فهي ليست تبع هوى كل إنسان، وإنما تتبع ترتيباً أو تدبيراً خاصاً تستطيع الكنيسة أن تقدِّمه بالروح حسب قياس قامة كل إنسان في النعمة.

على أن مجموع هذه الأعمال الصالحة تهدف لغاية واحدة هي ذات أهمية عُظمى تتعلَّق بموقف الإنسان الجديد المولود من الله بالنسبة للحياة الجديدة أو روح القيامة التي نالها. فكل الأعمال الصالحة تنصبُّ مباشرة في الشهادة لهذه الحياة في هذا الدهر، وتعمل لاستعلانها كنور للسائرين في الظلمة ولتمجيد الله الخالق والمُعطِي لها.

فالخليقة الجديدة، إن كان قد سمح الله لها أن تعمل في الزمان الحاضر وفي هذا الدهر، مع أنها ليست من طبيعة هذا الزمان ولا تتناسب مع هذا الدهر؛ فذلك لكي تكون شهادة دائمة على موت الرب وقيامته، لأنها في الحقيقة فوق مستوى فكر هذا الدهر. لذلك أصبح من الضروري الإعلان الدائم عن صدق مواعيد الله التي تمَّت في صميم الزمان بشهادة مسنودة ببرهان الروح والقوة. فالإنسان الجديد مخلوق أساساً للشهادة، والشهادة بالروح هي بحدِّ ذاتها عمل صالح «مخلوقين... لأعمال صالحة» (أف ٢: ١٠)؛ بحيث لو كفَّ الإنسان الجديد عن الشهادة لملكوت الله وحياة الدهر الآتي بسيرته وسلوكه، يصبح وكأنه يلغي وجوده الروحي أو يطمر وزنته في التراب إذ يتجاهل ميراثه

الأبدي، وهو العلّة التي من أجلها خُلِق ويعيش ليشهد لها كل يوم، لأنه «إن كنّا أولاداً فإننا ورثة أيضاً، ورثة الله ووارثون مع المسيح.» (رو ٨:١٧)

وهذا المنهج الحتمي للأعمال الصالحة الهادفة في النهاية لتمجيد الله والمفروضة على الإنسان الجديد القائم من بين الأموات، هو في الحقيقة مُطابق تماماً لمنهج المسيح نفسه. فالمسيح قام من بين الأموات بمجد الآب ولتمجيد الآب في نفس الوقت: «حتى كما أُقيم المسيح من الأموات بمجد الآب، **هكذا** نسلك نحن أيضاً في جدَّة الحياة» (رو ٦:٤)، أي نسلك في الحياة الجديدة كقائمين من بين الأموات، شهادة لمجد الآب: «أنا مجَّدتك على الأرض» (يو ١٧:٤)، «أنا أظهرت اسمك للناس.» (يو ١٧:٦)

ولكي يتضح أكثر هذا المنهج العملي المفروض على القائمين في جدة الحياة، يعود القديس بولس الرسول وينبِّهنا إلى أن المسيح نفسه إنما يحيا الآن لله، وهكذا ينبغي أن تكون حياتنا نحن أيضاً لله: «لأن الموت الذي ماته قد ماته للخطية مرة واحدة، **والحياة التي يحياها فيحياها لله**. كذلك أنتم أيضاً احْسِبُوا أنفسكم أمواتاً عن الخطية، **ولكن أحياءً لله** بالمسيح يسوع ربنا» (رو ٦:١٠و١١)، أي أن هدف الحياة الجديدة هو الشهادة لتمجيد الآب.

وهكذا يتحدَّد أمامنا أكثر الهدف من الأعمال بالنسبة للإنسان الجديد القائم من بين الأموات بسرِّ المسيح، فسواء كان عمل أو فكر أو إرادة أو نية «**فافعلوا كل شيء لمجد الله**» (١كو ١٠:٣١). فكما أن المسيح بعد القيامة هو «**لمجد الله الآب**»، هكذا كل مَنْ كان في المسيح كخليقة جديدة هو كله لمجد الله الآب.

وهذا الهدف المحدد من المنهج العملي المفروض على الخليقة الجديدة التي نالت القدرة على العمل الصالح بقيامة المسيح من بين الأموات، وبانسكاب

روح القيامة الذي هو روح القداسة والتجديد، إنما يردُّ ردًّا واضحاً صريحاً على عجز الخليقة الأولى العتيقة التي عجزت تماماً عن إتمام أي عمل صالح لتمجيد الله، وكانت سبب تجديف وإساءة لاسم الله العظيم.

فالآن أصبحت وظيفة الخليقة الجديدة هامة وخطيرة بالنسبة لِمَا أخفقت فيه الخليقة العتيقة التي تسببت في فضيحة الإنسان وإهانة الله وتشويه صورته التي وهبها لنا بالخلقة. لذلك أصبحت المسئولية الملقاة على إنسان الله الجديد المولود من فوق والحامل لطبيعة الخليقة الجديدة مسئولية عُظمى لإعادة العلاقات الصالحة مع الله وإعادة كرامة صورته إلى وضعها الأكمل، وذلك تجاه نفسه، وتجاه الله، وتجاه الآخرين أيضاً.

فأولاً: تجاه نفسه:

فهو بعمله الصالح إنما يرد أولاً على ما عمله من الشرور التي تسببت في تشويه صورة الله التي فيه من جهة تلوث الفكر والإرادة والضمير والجسد؛ فأصبح العمل الصالح بمثابة إعادة صورة الله الصحيحة في الإنسان الجديد «المخلوق بحسب الله... حسب صورة خالقه» (أف ٤: ٢٤، كو ٣: ١٠)، «أنتم عبيد للذي تطيعونه، إما للخطية للموت أو للطاعة للبر، فشكراً لله، أنكم كنتم عبيداً للخطيئة، ولكنكم أطعتم من القلب صورة التعليم التي تسلَّمتموها. وإذ أُعْتِقْتُم من الخطية صرتم عبيداً للبر. أتكلَّم إنسانياً من أجل ضعف جسدكم. لأنه كما قدَّمتم أعضاءكم عبيداً للنجاسة والإثم للإثم، هكذا الآن قدِّموا أعضاءكم عبيداً للبر للقداسة.» (رو ٦: ١٦-١٩)

وثانياً: تجاه الله:

فهو بعمله الصالح إنما يمجِّد الله؛ بينما بتعدِّيه وجهالته السابقة في طبيعته العتيقة كان سبباً في التجديف على اسم القدوس: «**لكي يروا أعمالكم**

الحسنة، ويمجِّدوا أباكم الذي في السموات» (مت ٥:١٦). هنا العمل الصالح يدخل صميمياً في مفهوم الصلاة والخدمة الروحية والتسبيح العلني لتمجيد الله، حيث يأخذ الإنسان الجديد بأعماله الصالحة مكانة ثابتة وسط صفوف الخدَّام السمائيين المنوط بهم خدمة العلي وتمجيد اسمه القدوس، وهذه غاية من غايات الخلقة الجديدة.

وثالثاً: تجاه الآخرين:

وأخيراً، فإن العمل الصالح للخليقة الجديدة هو في صميمه موجَّه نحو الآخرين، وهو بمثابة كرازة بالعهد الجديد، وبشارة بالقيامة، وإظهار لفعلها المجدِّد المُفْرِح الذي دخل كيان الطبيعة البشرية، فأعاد خلقتها، ونقلها من سلطان الظلمة إلى ملكوت ابن الله. ولسان حال كل مَنْ يشهد للقيامة من نحو الآخرين هو: "لأُخبِر بفضل الذي دعاني من الظلمة إلى نوره العجيب" (١بط ٢:٩)، حيث تهدف أعمال الإنسان الجديد ليس لإرضاء ذاته، بل الآخرين في وجه يسوع المسيح الذي لم يُرْضِ ذاته قط بل الآب من أجلنا. وهذا في الواقع لا يحتاج إلى إقناع أو اجتهاد ذاتي؛ بل إنَّ كل مَنْ يدخل بهجة القيامة، ويذوق صلاح الرب، وتستنير عين قلبه بمعرفة محبة المسيح، ويعيش أفراح حياة الدهر الآتي، لا يمكن أن يسكت لأنها تصير كنارٍ في عظامه!!

ماهية العمل الصالح بالنسبة للإنسان الجديد القائم مع المسيح:

العمل الصالح بالنسبة للإنسان العتيق أمر شاق عسير ويكاد يكون مستحيلاً. فمهما جاهَدَ الإنسان في طبيعته فلن يكون عمله الصالح أكثر من مقاومة مريرة ضد الخطية ودوافعها الشريرة، أو مجرد أعمال ظاهرية لا تتعدَّى أثر الجسد أو النفس: «يقدِّس إلى طهارة الجسد!!» (عب ٩:١٣)

أما بالنسبة للإنسان الجديد، فالعمل الصالح يتعدَّى الوجه السلبي للجهاد

ضد الخطية ليشمل خدمة البر والقداسة، أو بعبارة إنجيلية ليس هو "خلْع الإنسان العتيق الفاسد بحسب شهوات **الغرور**" "مع أعماله" (أف ٤: ٢٢، كو ٣: ٩) الذي هو مجرد تسديد ديون باهظة تورَّط فيها الإنسان بسبب الجهالة وغرور الذات، ولكن العمل الصالح يتجاوز الخلع إلى اللِّبس: «ولبستم الجديد الذي يتجدَّد للمعرفة حسب صورة خالقه.» (كو ٣: ١٠)

المعرفة الكاملة للمسيح كأساس العمل الصالح للإنسان الجديد:

لا ينبغي أن نفصل المعرفة وحدها ونشرح صلتها بالقيامة، لأنه لا توجد معرفة صالحة صادقة بدون عمل حتى ولا عند الملائكة.

إن المعرفة الروحية بحسب الخليقة الجديدة أو العهد الجديد، هي معرفة موهوبة وليست مكتَسَبَة من الخبرة الشخصية. وهذه هي طبيعة الحق، فالحق الإلهي هبة مُنِحَت للإنسان الجديد: «ولبستم الجديد الذي **يتجدَّد للمعرفة حسب صورة خالقه**» (كو ٣: ١٠)، حيث "المعرفة" هي في الأصل اليوناني تحمل معنى كمال المعرفة الحقة!! ومعنى ذلك أن يصير الإنسان الجديد أكثر فأكثر على صورة خالقه إنما بقدر يتجدَّد كل يوم بواسطة المعرفة الجديدة الخاصة بالمسيح الذي هو النموذج الكامل الأعلى لصورة الله التي استُعلِنت لنا جهاراً.

وهنا يمكن المماثلة النظرية مع الخلقة العتيقة؛ فكما خلق الله الإنسانَ على صورته أولاً فشوَّهها الإنسان بالخطيئة حتى لم تَعُدْ للإنسان ملامح البر أو القداسة أو الحق، هكذا عاد الله وأعاد خلقة الإنسان روحياً على أساس البر والقداسة والحق في شخص يسوع المسيح، الذي هو باكورة الخليقة الجديدة ورأس الإنسان الجديد، الحامل لصورة الله الجوهرية في الإنسان بمجدٍ وإعجازٍ بسرٍّ الكمال الفائق الذي لا يُنطق به!!

وبذلك تصبح معرفة المسيح هي اللبن العقلي الذي نغتـذي بـه فننمـو حتـى نصل إلى أن يتصوَّر المسـيح فينـا الـذي هـو صـورة الله. ولكـن يعلّمنـا بطـرس الرسول أن المعرفة لا تنمِّي الإنسان الجديد إلاَّ إذا كانت خالية مـن كـل غـش، حيث الغش هنا ينصب على المعرفة العتيقة، وهنا التركيز قائم على جدَّة المعرفـة أو المعرفة الجديدة الخالية من كل شوائب فكر الإنسان العتيق التي كانت ترتكـز على مهارة **وجهد الذات الإنسانية** وخداعهـا المضلـل سـواء بالخطيـة أو العلـم الكاذب الاسم، حيث المعرفة الجديدة تكون صادقة وحقّة بقـدر تطابقهـا علـى المسيح وروح القيامـة، لذلـك يتحتَّـم أن تكـون مُستمَدَّة مـن الـروح القـدس والإنجيل «**يأخذ مما لي ويخبركم!!**» (يو ١٦: ١٤)

+ «فاطرحوا كل خبـث وكـل مكـر والريـاء والحسـد وكـل مذمَّـة (هنـا خلْـع الإنسان العتيق مع أعماله المنبثقة من الذات المخادعـة. ويُلاحَـظ أنهـا كلهـا **صفات عقلية شريرة**)، وكأطفال مولودين الآن (بقيامـة المسيح)، **اشتهوا** (الإرادة الجديدة التي تستمد شهوتها من برِّ المسيح وليـس مـن لـذة الخطيـة) اللبن **العقلي** (أي الكلمة = أي معرفة المسيح) **العديم الغش لكي تنموا به،** إن كنتم **قد ذُقْتُمْ** أن الرب **صالح.**» (١بط ٢: ١-٣)

ويُلاحَظ هنا أن مضمون كلمة "كأطفال" يشـير إلى أن المعرفـة ليسـت مـن نوع المهارة الذاتية أو الجهد الفني الشخصي، إنما مجـرد عطـش وطلـب ودمـوع واشتهاء كاشتهاء الطفل للبن أُمه. وهنا بطرس الرسـول يتفـق تمامـاً مـع بولـس الرسول في أن الخليقة الجديدة تنمو وتتجدَّد بالمعرفة الحقة الكاملة للمسيح الـتي هي بمثابة طعام الحق عديم الغش (أي الخالية من غرور الذات والخطيئة). وهنـا تصبح كل معرفة جديدة صادقة للمسـيح مستمدَّة مـن الكلمـة هـي بمثابـة نمـو للإنسان الجديد، وتجديداً متواصلاً لصورة الله فيه!!

هنا معرفة المسيح هي غذاء سرِّي لقلب الإنسان الجديد وضميره وعقله ينمو

به كل يوم ويتحرَّك ويفكِّر ويسلك، فتزداد شهوة الإنسان إلى العمل الصالح «**اشتهوا اللبن العقلي**» بقدر **مذاقة صلاح** المسيح «إن كنتم قد **ذُقتم** أن الرب **صالح**». هنا المعرفة الروحية ترتفع إلى مستوى التذوُّق للحق كالأكل والشرب بالنسبة للروح!!!

تجدُّد المعرفة الحقيقية وتغيُّرها من مجد إلى مجد صفة أساسية:

التجدُّد والتغيُّر من مجد إلى مجد من أهم خصائص المعرفة الروحية الصادقة. فالمعرفة الكاذبة ينسخ بعضها الآخر:

(أ) **أما صفة التجدُّد المستمر:** «ولبستم الجديد الذي يتجدَّد للمعرفة» (كو ٣: ١٠)، فهي ضرورة حتمية بسبب الاحتكاك المتواصل بالجسد العتيق والمعرفة الغاشَّة التي تؤثِّر في المعرفة الروحية للمسيح، فتضعفها وتؤذيها وتطمس نورها؛ إما بالخطيئة التي تتربَّص دائماً بفكر الإنسان، وإما بالمعرفة الكاذبة الاسم التي تتطاول على معرفة الروح وتنسب إليها العجز والقصور باطلاً.

(ب) **أما صفة قبول التغيُّر المستمر:** فناتج أصلاً من ديمومة وامتداد الحق الإلهي ولانهائية كمال المسيح «المذَّخر فيه جميع كنوز الحكمة والعلم» (كو ٢: ٣ ـ اقرأ الأصحاح الثاني من رسالة كولوسي لأنه في غاية الأهمية هنا).

ولأن "معرفة محبة المسيح فائقة المعرفة" بالنسبة للإنسان، وستظل كذلك حتى بعد العبور الكامل للحياة الأخرى، لذلك أصبح التغيُّر من مجد إلى مجد صفة حتمية في النظر العقلي أو التطلُّع الروحي بالرؤيا العقلية لمجد المسيح: «ونحن جميعاً ناظرين بمجد الرب بوجه مكشوف (بدون برقع الجهالة الذي تضعه الخطية على العقل فتطمس نوره).» (٢كو ٣: ١٨)

من المعرفة الصادقة إلى العمل الإيجابي الصالح:

+ «**فكما قَبِلْتُم** المسيح يسوع الرب **اسلكوا فيه**، متأصِّلين ومبنيِّين **فيه**، ومُوَطَّدين في الإيمان، **كما عُلِّمْتُم**، متفاضلين فيه بالشكر.» (كو ٢: ٦و٧)

إذا قبلنا المسيح قبولاً روحياً كاملاً، واستضاءت معرفتنا به عن طريق الكلمة بالإنجيل، نجد أن المعرفة تولِّد إيماناً وطيداً مساوياً للمعرفة الصادقة (لأن المعرفة هنا هي في حقيقتها صلة سرية شخصية بالروح القدس، كنتيجة للشركة)، وحينئذ يبدأ العمل الصالح **بدَفْع الإيمان** كقوة منبثقة من مصدر سرِّي داخلي لا ينضب، وكحرارة منبعثة من مصدر داخلي تتجدَّد كل يوم بالمعرفة أي بالكلمة.

لذلك بعد أن نوفي المعرفة الحقة كل واجباتها، أي نكون على مستوى الشركة السرية مع المسيح "الحق" بالحب الشخصي والصلاة، نصبح أهلاً للعمل الصالح بدافع يقينية الشركة هذه وثقة الصلة الروحية المستمدَّة من المسيح بالإنجيل.

ويمكننا تقسيم العمل الصالح إلى قسمين كبيرين يلتحمان معاً في النهاية ليكوِّنا عملاً واحداً منسجماً:

القسم الأول: ويشمل جميع الأعمال الصالحة المفروض علينا تأديتها والسلوك فيها، لتجمعنا معاً نحن المؤمنين، كل المؤمنين، لنكون جسداً واحداً وروحاً واحداً حتى نصبح أهلاً للاتحاد بجسم المسيح.

القسم الثاني: ويشمل جميع الأعمال الصالحة التي يقدِّمها لنا الله كوسائط أو كأعمال نعمة مملوءة بالأسرار لتجمعنا وتوحِّدنا بالمسيح.

أولاً: القسم الأول: العمل الصالح كجهد مبذول من جهة الإنسان لتكوين الوحدة المفروضة بين المؤمنين:

وقبل أن نشرح هذا الاتجاه من الأعمال الصالحة يلزم أن نعلم أولاً أن هذه الأعمال المفروض علينا تكميلها - بهدف تكميل الوحدة أو الاتحاد معاً لنكون جسداً واحداً وروحاً واحداً، حسب تعبير بولس الرسول - هي مبنية أساساً على صفات وخواص ومواهب ممنوحة من الله للخليقة الجديدة، ومغروسة في صميم طبيعتها، أي أن الأعمال الصالحة المفروض علينا تكميلها والسلوك فيها سبق الله وأعدَّ لنا مستلزماتها المفروضة، وشق لنا مسالكها في طبيعتنا الجديدة. لذلك أصبحت **أولاً**: مفروضة علينا، **وثانياً**: إذا أكملناها لا نعتبر ذوي فضل، لأن كل إلهاماتها وقوتها ودوافعها موضوعة فينا بالروح القدس لتكون من صميم خلقتنا، **وثالثاً**: أصبح من الضروري أن نكمل واجباتها أولاً قبل أن نستحق ممارسة القسم الثاني السرِّي من الأعمال الصالحة الممنوحة لنا بالنعمة من داخل الأسرار.

وهنا يتضح أمامنا عمق الصلة بين المعرفة والعمل، وذلك بالنسبة للخليقة الجديدة المهيَّأة للحياة الروحية السرية مع المسيح، لأن كل عطية يعطيها المسيح وكل موهبة روحية يمنحها لنا بالروح القدس في حياتنا الجديدة أو في إنساننا الجديد؛ فهي حتماً تكون حسب قياس معين ومحدَّد يتناسب تناسباً دقيقاً غاية الدقة مع إمكانية. وضرورة وكيفية اتحادنا بالآخرين لصالح الوحدة النهائية اللازمة والمحتَّمة بالنسبة لجميع المفديين والمخلَّصين، أي أن أساس جميع المواهب والعطايا الروحية التي يمنحها المسيح لنا هي لكي تؤهِّلنا لوحدة كاملة متكاملة مع الآخرين أولاً ثم مع المسيح بالتالي كجسد واحد بمعنى الكلمة[1]!!

(١) اقرأ هنا (أف ٤ :١-٧) ثم مباشرة (أف ٤ :١٠-١٣)، فهي في غاية الجمال.

لذلك أصبحت الطبيعة الإيجابية للعمل الصالح بالنسبة للإنسان الجديد محددة أمام عيوننا تحديداً لا مفرَّ منه، وهو أن العمل لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يُحسب عملاً صالحاً بالنسبة للخليقة الجديدة أو في ضوء القيامة إلاَّ إذا كان لحساب الوحدة ومنتهياً إليها: **الوحدة التي تجمعنا معاً، ثم الوحدة التي تجمعنا مع المسيح.** وبذلك يصبح قول بولس الرسول لأهل أفسس ذا قيمة كبيرة لنا في هذا المجال:

+ «فأطلب إليكم، أنا الأسير في الرب، أن تسلكوا كما يحق للدعوة التي دُعيتم إليها؛ بكل تواضع، ووداعة، وبطول أناة، مُحتملين بعضكم بعضاً في المحبة. مجتهدين أن تحفظوا وحدانية الروح برباط السلام. جسدٌ واحدٌ، وروحٌ واحدٌ، كما دُعيتم أيضاً في رجاء دعوتكم الواحد. رب واحد، إيمان واحد، معمودية واحدة، إله وآب واحد للكل، الذي على الكل وبالكل وفي كلِّكم. ولكن لكل واحد منَّا أُعطيت النعمة حسب قياس هبة المسيح.» (أف ٤: ١-٧)

إذن، هذه هي روح العهد الجديد أو روح الدعوة الجديدة لكل إنسان في المسيح. وهذه هي روح العمل الصالح للخليقة الجديدة التي تعمل لحساب النهاية الواحدة السعيدة.

ثانياً: القسم الثاني: العمل الصالح كنعمة ممنوحة مجاناً من الله:

+ «صعد أيضاً فوق جميع السموات، لكي يملأ الكل. وهو أعطى البعض أن يكونوا رُسُلاً، والبعض أنبياءَ، والبعض مُبشِّرين، والبعض رعاة ومُعلِّمين، لأجل تكميل القدِّيسين، لعمل الخدمة، لبنيان جسد المسيح، إلى أن ننتهي جميعنا إلى وحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله. إلى إنسان كامل إلى قياس قامة ملء المسيح... الذي منه كل الجسد مُرَكَّباً معاً، ومُقترناً بمؤازرة كلِّ مفصلٍ، حسب عملٍ، على قياس كل جزء، يُحَصِّلُ

نُموَّ الجسد لبنيانه في المحبة.» (أف ٤: ١٠-١٦)

الحياة الأرثوذكسية داخل الكنيسة، حينما يجتمع الشعب كله مع الإكليروس في وحدة الصلاة والتسبيح والشكر، تُعتبر استعلاناً لحالة الوحدة المستقبلة، تُعاش الآن زمنياً، أي أن وحدة الكنيسة الآن في جامعيتها المتّحدة بالصلاة هي أصلاً شركة مواهب بالروح، تُمارِس العمل الصالح حسب قياس الموهبة الصالحة الممنوحة لكل إنسان في المسيح كطبيعة الخليقة الجديدة وللكنيسة كلها، حيث كل واحد يعمل للبنيان حسب الموهبة التي منحه الله إيَّاها. وهكذا فإن العبادة العامة تضمن بكل ثقة ويقين نمو بنيان الكنيسة لحساب الملكوت على أساس تعدُّد المواهب التي تعمل لوحدة كل إنسان في جسد المسيح!! العبادة الأرثوذكسية هنا هي شركة مواهب تعمل لسرِّ الخلاص، عمل المواهب هنا هو عمل الصلاح الفائق الذي هو تاج كل الأعمال طُرًّا.

لذلك يلزم ألاَّ ننسى أبداً أن الموهبة هي أساس العمل الصالح للخليقة الجديدة. ويقول بولس الرسول أيضاً: «لكي يخلق الاثنين **في نفسه** (شركة) إنساناً **واحداً جديداً صانعاً سلاماً** (العمل الصالح)» (أف ٢: ١٥). وبهذا المعنى يتحوَّل **مفهوم** العبادة والصلاة والتسبيح إلى مفهوم العمل الصالح، باعتبارها أعمالاً جماعية تُعمَل بوحي المسيح، بروح واحد، لمجد الله، لتخدم معنى الوحدة. وبهذا تكون كل أعمال العبادة من ذات طبيعة الخليقة الجديدة وكعمل أساسي لها، لقيام ودوام وتثبيت وحدة المؤمنين في جسد واحد بالمسيح الرأس منذ الآن!!

+ «**امتلئوا بالروح، مُكلِّمين بعضكم بعضاً** بمزامير وتسابيح وأغاني روحية، مُترنِّمين ومُرتِّلين في قلوبكم للرب. شاكرين كل حين على كل شيء في اسم ربنا يسوع المسيح، لله والآب. **خاضعين بعضكم لبعض**

في خوف الله.» (أف ٥:١٨-٢١)

وهنا تظهر هذه الأعمال التي هي في صميم العبادة وترتيبها، أنها أعمال موحاة من الروح القدس، ونتيجة مباشرة للامتلاء منه سبق الله فأعدَّها لنسلك فيها. وهنا يلزمنا أن نشرح أكثر كلمة "نسلك فيها"، فكلمة περιπατέω في الأصل اليوناني تفيد أن ينظِّم الإنسان نفسه بمقتضاها، أن يقود الإنسان نفسه فيها، أن يحدد الإنسان سلوكه بحسب أصولها؛ وكلها تفيد معنىً واضحاً دقيقاً يمكن جمعه هكذا: إن الله سبق فرتَّب لنا أعمالاً روحية تتناسب مع صلاحه ومع طبيعتنا الجديدة التي نأخذها من المسيح بالروح القدس، وتتناسب مع مواهب الروح التي سكبها ويسكبها علينا لنُمارِس هذه الأعمال (العبادة) على الدوام، حتى تصبح سلوكاً محدَّداً وحياة متوافقة وخاضعة بسرور لمشيئة الله وتدبيره؛ وهذا ليس حسب هوى نفوسنا وذواتنا. لذلك يلزم فيها من جهة الجسد عملية القمع والضبط والخضوع حتى تصير الطبيعة الروحية غالبة والعبادة الصالحة هي السائدة، كما سنرى في العمل الصالح من الوجهة السلبية الأخرى تجاه الخطايا والجسد.

إن قمة أعمال العبادة التي يُمارِسها المؤمنون معاً، كجماعة متَّحدة وبنفس الوقت كأفراد، لتخدم طبيعة الوحدة وتعلنها وتنشِّطها بصورة دائمة، هي سر الإفخارستيا؛ حيث يجتمع الجميع كجسد واحد وبروح واحدة حول جسد واحد وروح واحد، وإذ يأكلون الجسد الواحد بروح الفرح والمحبة، يصيرون بسرِّ المسيح القائم من بين الأموات جسداً واحداً فعلاً وكنيسة واحدة قائمة من بين الأموات. وبهذا يُعتبر سر الإفخارستيا قمة الأعمال الصالحة التي سبق الله فأعدَّها ورتَّبها **لنسلك فيها**، أو بحسب التعبير اليوناني: أن ينظِّم الإنسان نفسه بمقتضاها، ويقود نفسه بحسب ما يتضمنه من معنى مُستخلِصاً منه قوة لسلوكه في الوحدة التي يقوم عليها سر الإفخارستيا بالدرجة الأولى: «كأس البركة التي

نُبارِكها، أليست هي **شركة دم المسيح**؟ الخبز الذي نكسره أليس هو **شركة جسد المسيح**؟ فإننا نحن **الكثيرين خبز واحد، جسد واحد، لأننا جميعنا نشترك في الخبز الواحد**» (١كو ١٠:١٦و١٧). **هنا سر الشركة** اسم على مُسمَّى، دخول فعلي في حياة جديدة مثل سر الشكر تماماً.

وبهذا يُعتبر سر الإفخارستيا هو استعلان سر الملء أو سر الوحدة للخليقة الجديدة، حيث يجتمع الكل في جسد واحد حي هو جسد المسيح المُقام من بين الأموات، فهو استعلان سر الخلاص النهائي للبشرية كلها حينما يجمع المسيح كل شيء في نفسه: «الذي هو قبل كل شيء، وفيه يقوم الكل، وهو رأس الجسد... لأنه فيه سُرَّ أن يحلَّ كل الملء.» (كو ١:١٧-١٩)

وبالنهاية تكون جميع ثمار الأعمال الصالحة التي نقدِّمها لله هي في حقيقتها متاجرة رابحة، أو الربح الناتج من المتاجرة بالمواهب الممنوحة للطبيعة الجديدة التي وُلِدنا بها ثانية بقيامة المسيح. والله إذ يتقبَّل منَّا هذا الربح الناتج من وزناته يردّه إلينا على هيئة فيض نعمة، انسكاب بركة ومحبة: «**الذين ينالون فيض النعمة وعطية** البر، سيملكون في الحياة بالواحد يسوع المسيح» (رو ٥:١٧). ولكن هذا الفيض الإضافي من النعمة يدفع الإنسان الجديد لمزيد من العمل والشهادة والبذل، وهكذا يختمر العالم كله بخمائر صغيرة من مواهب الله المنسكبة على الخليقة الجديدة.

والأعمال الصالحة المفروض علينا تأديتها كخليقة جديدة في المسيح يسوع، بحسب ما أعطانا المسيح من مواهب، أو على حدِّ تعبير بولس الرسول: «فأنواع مواهب موجودة، ولكن الروح واحد... قاسماً لكل واحد بمفرده، كما يشاء» (١كو ١٢:٤و١١)؛ تنقسم هي أيضاً إلى نوعين من الأعمال يلتحمان معاً في النهاية ويصيران عملاً واحداً يهدف إلى وحدة المؤمنين:

النوع الأول: يشمل الأعمال السلبية التي نشهرها كأسلحة جديدة تُسلّحنا بها طبيعتنا الجديدة لنُقاوِم بها طباعنا وأخلاقنا وسلوكنا التي للإنسان العتيق الذي كانت تتحكّم فيه الخطايا والأهواء وشهوات الغرور.

والنوع الثاني: يشمل الأعمال الإيجابية التي تظهر كطباع أو أخلاق أو فضائل أو مميزات الإنسان الجديد المُلهَم بالنعمة التي هي أصلاً صفات وأفكار المسيح فينا.

وقد شدَّد المنهج الإنجيلي على حتمية البدء بالأعمال السلبية ضد الإنسان العتيق.

أولاً: النوع الأول السلبي:

الأعمال السلبية المفروضة علينا كجهد مبذول من جهتنا كخليقة جديدة ضد سلوكنا القديم:

هذا النوع يعتبر في طبيعته جهداً سلبياً موجَّهاً ضد الإنسان العتيق وأخلاقه، الذي كانت الخطايا تتسلّط عليه سابقاً.

أسبقية الجهاد السلبي:

هذا الجهاد السلبي، وإن كان يمشي جنباً إلى جنب مع الجهاد الإيجابي أي إظهار صفات الإنسان الجديد، إلاَّ أنه يتحتّم أن يتم الجهاد السلبي أولاً، وهذا يوضِّحه بولس الرسول باختصار هكذا:

١ ـ «هذا وإنكم عارفون الوقت، أنها الآن ساعة لنستيقظ من النوم (وهي ساعة قبولنا الحياة الجديدة بكل حرارتها ومعرفتها وقوتها وغيرتها)، فإن خلاصنا الآن أقرب مما كان حين آمنّا. قد تناهى الليل وتقارَب النهار (ليل جهالة الخطية، ونهار معرفة النعمة)، **فلنخلع أعمال الظلمة ونلبس أسلحة النور**.» (رو ١٣: ١١و١٢)

الخلع أولاً، ثم اللِّبس.

٢ ـ «أن **تخلعوا** من جهة التصرُّف السابق الإنسان العتيق **الفاسد** بحسب **شهوات الغرور**، وتتجدَّدوا بروح ذهنكم، **وتلبسوا** الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر **وقداسة الحق**.» (أف ٤:٢٢ـ٢٤)

٣ ـ «**إذ خلعتم** الإنسان العتيق مع أعماله، **ولبستم** الجديد الذي يتجدَّد للمعرفة حسب صورة خالقه.» (كو ٣:٩و١٠)

ما هي أعمال الإنسان العتيق؟ وكيفية سقوطنا فيها؟ وكيفية قيامتنا الجديدة منها؟

أعمال الإنسان العتيق:

لقد حدَّد العهد الجديد أعمال الإنسان العتيق في مواقف عدة نلخِّصها كالآتي:

١ ـ «وأما ما يخرج من الفم فمن القلب يصدر، وذاك يُنجِّس الإنسان، لأن من القلب تخرج أفكار شريرة: قتل، زنا، فسق، سرقة، شهادة زور، تجديف.» (مت ١٥:١٨و١٩)

«وأما الزنا وكل نجاسة أو طمع فلا يُسَمَّ بينكم كما يليق بقدِّيسين، **ولا القباحة، ولا كلام السفاهة والهزل** التي لا تليق، بل بالحري الشكر. فإنكم تعلمون هذا أن كلَّ زانٍ أو نجس أو طمَّاع ـ الذي هو عابدٌ للأوثان ـ ليس له ميراث في ملكوت المسيح والله. **لا يغُرَّكم أحد بكلام باطل**، لأنه بسبب هذه الأمور **يأتي غضب الله على أبناء المعصية. فلا تكونوا شركاءهم. لأنكم كنتم قبلاً** ظلمة، وأما الآن فنور في الرب.» (أف ٥:٣ـ٨)

«لأن الأمور الحادثة منهم سرًّا، ذكرها أيضاً قبيح.» (أف ٥:١٢)

٢ - «**أميتوا أعضاءكم التي على الأرض: الزنا، النجاسة، الهوى، الشهوة الرديَّة، الطمع** الذي هو عبادة الأوثان، الأمور التي من أجلها يأتي غضب الله على أبناء المعصية، الذين بينهم أنتم أيضاً سلكتم قبلاً، حين كنتم تعيشون فيها. وأما الآن فاطرحوا عنكم أنتم أيضاً الكل: **الغضب، السَّخط، الخبث، التجديف، الكلام القبيح** من أفواهكم. **لا تكذبوا** بعضكم على بعض.» (كو ٣:٥-٩)

٣ - «لنسلك بلياقة كما في النهار، **لا بالبَطَر والسُّكر، لا بالمضاجع والعَهَر، لا بالخصام والحسد.** بل البسوا الرب يسوع المسيح، **ولا تصنعوا تدبيراً للجسد لأجل الشهوات.**» (رو ١٣:١٣و١٤)

٤ - «وأعمال الجسد ظاهرة: التي هي **زنا عهارة نجاسة دعارة عبادة أوثان سحر عداوة خصام غيرة سخط تحزُّب شِقَاق بدعة حسد قتل سُكر بَطَر**... إن الذين يفعلون مثل هذه لا يرثون ملكوت الله... لا نكن مُعجبين **نُغَاضِب بعضنا بعضاً، ونحسد بعضنا بعضاً.**» (غل ٥:١٩-٢١و٢٦)

«لأن مَنْ يزرع لجسده فمن الجسد يحصد فساداً.» (غل ٦:٨)

«إن عشتم حسب الجسد فستموتون.» (رو ٨:١٣)

٥ - «**لأنه كما قدَّمتم أعضاءكم عبيداً للنجاسة والإثم للإثم،** هكذا الآن قدِّموا أعضاءكم عبيداً للبر للقداسة... فأيُّ ثمرٍ كان لكم حينئذ من الأمور التي تستحون بها الآن؟ **لأن نهاية تلك الأمور هي الموت**... لأن أُجرة الخطية هي موت.» (رو ٦:١٩و٢١و٢٢)

٦ - «ليُرفع من بينكم كل مرارة **وسخط وغضب وصياح وتجديف مع كل خبث.**» (أف ٤:٣١)

٧ – «الروح الذي حلَّ فينا يشتاق إلى **الحسد**؟ ولكنه يُعطي نعمة أعظم (الآن).» (يع ٤: ٥و٦)

٨ – «من أين **الحروب والخصومات** بينكم؟... **تشتهون** ولستم تملكون... **تقتلون وتحسدون... تخاصمون وتُحاربون**... تطلبون ولستم تأخذون، لأنكم **تطلبون** رديًّا لكي **تنفقوا في لذّاتكم**... أما تعلمون أن **محبة العالم عداوة لله... لا يذُمَّ بعضكم بعضاً** أيها الإخوة، الذي يذُمُّ أخاه ويدينُ أخاه يذُمُّ الناموس ويدينُ الناموس... فَمَنْ أنت يا مَنْ تدين غيرك؟» (يع ٤: ١– ١٢)

٩ – «... مملوئين من كل **إثم وزنا وشر وطمع وخبث**، مشحونين **حسداً وقتلاً وخِصاماً ومكراً** وسوءًا، **نمّامين مُفترين، مُبغضين لله، ثالبين مُتعظِّمين مُدَّعين، مُبتدعين شروراً، غير طائعين للوالدين**، بلا فهم ولا عهد ولا حُنُوٍّ ولا رِضىً **ولا رحمة**.» (رو ١: ٢٩–٣١)

* * *

ويُلاحَظ هنا أن كل أعمال الإنسان العتيق تنقسم إلى قسمين أساسيين:

القسم الأول: أعمال موجَّهة ضد الله:

وهي تنصب كلها في أعمال الزنا والنجاسة والتجديف وعبادة الأوثان القديمة والحديثة، حيث الزنا والنجاسة هما تسليم الجسد والنفس للروح النجس عِوَض تسليمه لروح الله للقداسة. هنا الجسد يصير متّحداً بالروح النجس عِوَض طبيعته المتأصِّلة على أساس اتحاده بروح الله، ويصير متعبداً للنجاسة عِوَض أن يكون عابداً بالقداسة: «**ولكن الجسد ليس للزنا بل للرب، والرب للجسد!!!!**» (١كو ٦: ١٣)، «لأن الله لم يدْعُنا للنجاسة بل **في القداسة**.» (١تس ٤: ٧)

أما التجديف وعبادة الأوثان التي هي محبة المال والقنية والاعتداد بالذات وتأليهها، فهي بمثابة تقديم العقل والفكر والضمير لسيد العالم وإله هذا الدهر، ويصير الإنسان متعبِّداً للعالم عِوَض الله: «وأنتم الذين كنتم قبلاً أجنبيين وأعداء **في الفكر، في الأعمال الشريرة**، قد صالحكم الآن في جسم بشريته بالموت، ليُحضركم قدِّيسين وبلا لوم ولا شكوى أمامه.» (كو ١:٢١و٢٢)

القسم الثاني: أعمال موجَّهة ضد الإنسان:

وهي تعدٍّ على حقوق الغير وعلى كرامتهم وسمعتهم وإيذاء نفوسهم، وهذه كلُّها تعمل لتفكيك الوحدة والصلة بين الإنسان وأخيه الإنسان على كل المستويات.

وهكذا نرى أن أعمال الإنسان العتيق الشريرة سواء الموجَّهة ضد الله أو الموجَّهة ضد الإنسان الآخر، إنما تعمل لهدف واحد شرير وتنتهي عند هذا الهدف، وهو تفكيك وحدة الإنسان بالله وتفكيك وحدة الإنسان بالإنسان.

كيفية سقوطنا في أعمال الإنسان العتيق الشريرة:

١ - «لأنهم لَمَّا **عرفوا الله لم يمجِّدوه** أو يشكروه كإله، بل **حمقوا في أفكارهم، وأظلم قلبهم الغبي**... لذلك **أسلمهم الله أيضاً في شهوات قلوبهم** إلى النجاسة، لإهانة أجسادهم بين ذواتهم.» (رو ١:٢١و٢٤)

٢ - «الذين **استبدلوا حق الله بالكذب**، واتَّقوا وعبدوا المخلوق دون الخالق.» (رو ١:٢٥)
«فلو كنت بعد أُرضي الناس، لم أكن عبداً للمسيح.» (غل ١:١٠)
«لذلك **أسلمهم الله إلى أهواء الهوان**.» (رو ١:٢٦)

٣ - «وكما **لم يستحسنوا أن يُبْقُوا الله في معرفتهم، أسلمهم الله إلى**

ذهن مرفوض ليفعلوا ما لا يليق.» (رو ١:٢٨)

٤ ـ «الذين إذ **عرفوا حكم الله** أن الذين يعملون مثل هذه يستوجبون الموت، لا يفعلونها فقط، بل أيضاً **يُسَرُّون بالذين يعملون.**» (رو ١:٣٢)

٥ ـ «الذين فيهم إله هذا الدهر قد **أعمى أذهان** غير المؤمنين، لئلا تضيء لهم إنارة إنجيل مجد المسيح، الذي هو صورة الله.» (٢كو ٤:٤)

٦ ـ «فأقول هذا وأشهد في الرب، أن لا تسلكوا في ما بعد كما يسلك سائر الأُمم أيضاً **ببُطل ذهنهم**، إذ هم **مظلمو الفكر، ومُتجنِّبون عن حياة الله لسبب الجهل** الذي فيهم **بسبب غلاظة قلوبهم. الذين ـ إذ هم قد فقدوا الحِسَّ ـ أسلموا نفوسهم للدعارة** ليعملوا كل نجاسة في الطمع.» (أف ٤:١٧ـ١٩)

٧ ـ «كي لا نكون في ما بعد أطفالاً مُضطربين ومحمولين بكل ريح تعليم، بحيلة الناس، بمكر إلى مكيدة الضلال.» (أف ٤:١٤)

٨ ـ «**لا تعطوا إبليس مكاناً.** اغضبوا ولا تخطئوا. لا تغرب الشمس على غيظكم.» (أف ٤:٢٧و٢٦)

٩ ـ «وأنتم إذ كنتم أمواتاً بالذنوب **والخطايا، التي سلكتم فيها قبلاً حسب دهر هذا العالم**، حسب رئيس سلطان الهواء، **الروح الذي يعمل الآن في أبناء المعصية.**» (أف ٢:١و٢)

١٠ ـ «فانظروا كيف تسلكون بالتدقيق، **لا كجهلاء** بل كحكماء، مُفتدين الوقت لأن الأيام شريرة.» (أف ٥:١٥و١٦)

«من أجل ذلك **لا تكونوا أغبياء بل فاهمين** ما هي مشيئة الرب.»

(أف ٥:١٧)

١١ - «لأنهم لم يقبلوا **محبة الحق حتى يخلصوا**. ولأجل هذا سيُرسل إليهم الله **عمل الضلال، حتى يُصدِّقوا الكذب**، لكي يُدان جميع الذين لم يُصدِّقوا الحق، بل سُرُّوا بالإثم.» (٢تس ٢:١٠-١٢)

* * *

وهكذا يمكن تلخيص الأسباب كالآتي:

(أ) عرفوا الله (ذكاء وعلم) **ولم يمجِّدوه** (عبادة وصلاة)، وهكذا يُحسب ذكاؤهم وعلمهم أنه حماقة فكر وظلمة قلب. والنتيجة أنهم أُسلموا إلى شهوات قلوبهم ليعملوا النجاسة. وهكذا يكون تعظُّم الفكر واحتقار أمور الله كالصلاة والعبادة، هي النتيجة الحتمية للتخلية الإلهية كجزاء طبيعي. وبالتخلية تنعمي البصيرة في الحال، فلا يرون الحق الإلهي، فيسقطون **راضين** في خداع الشهوة والباطل.

(ب) لم يستحسنوا أن يُبقوا الله في معرفتهم (أي انتقلوا من صف الله إلى صف العالم) ← أُسلِموا إلى ذهن مرفوض (خالٍ من نور الله)، لأن غياب الله ظلمة في الفكر والقلب.

(ج) **عرفوا** حكم الله **ولم يخشوه**، بل فرحوا أيضاً بالمخالفين ← لذلك أسلِموا إلى الدينونة وإلى قساوة قلب غير تائب، لأن مقاومة الحق تؤدِّي إلى قساوة شيطانية مُرَّة ضد التوبة.

(د) المتشكِّلون بفكر وعمل هذا الدهر ← ينعمي ذهنهم ← لا يُقبلون على الإنجيل، وإذا قرأوه لا يجدون فيه أي شيء نافع أو منير لهم،

لأن القلب إذا ذهب وراء العالم انقفل الذهن تجاه الإنجيل.

(هـ) متجنّبون عن حياة الله (أي يهربون من كلمة الوعظ ومكان العبادة)، والنتيجة تكون حالة جهل بالله ← ذهن يعمل في الباطل، والنتيجة أن يفقدوا الإحساس الروحي.

(و) طفولية التفكير في الروحيات ← محمولين بكل ريح تعليم بلا تمييز، والنتيجة ← اضطراب نفسي، والنتيجة ← سقوط في مكيدة الضلال.

(ز) إسكان الشيطان في الفكر وفي النفس بسبب الدوام في حالة غضب، والنتيجة ← تسلّط الخطية والتفنن في التعدّي.

(ح) مجاراة روح العالم وأهل العصر (حسب دهر هذا العالم) = (حسب رئيس سلطان الهواء) = والنتيجة ← السقوط تحت قيادة روح المعصية.

(ط) السلوك بدون تدقيق وبدون الرجوع لكلمة الله، والنتيجة ← الدخول في حالة جهالة هي غباء حقيقي ← ضياع العمر في الباطل.

(ي) الانصداد عن محبة الحق (استهتار) وعلامتها ← يفرحون بالضلال ويصدّقون الكذب ← ويسرّون بالإثم.

ويُلاحَظ أن جميع أسباب السقوط في جميع أعمال الإنسان العتيق الشريرة **تتعلّق كلها بالمعرفة. فإما تعالٍ على الحق، وإما رفضه، وإما تجاهله، وإما الجهل به.** وهكذا ترتبط الخطيّة بالمعرفة رباطاً أكيداً منذ البدء.

* * *

ثانياً: النوع الثاني الإيجابي:

أعمال الإنسان الجديد المميِّزة والمتّصلة بالمسيح، وأهمها المواظبة على الصلاة والتناول كطعام القيامة:

اجتماع المؤمنين باستمرار للاشتراك في كل طعام، وبالأخص القدَّاس، هو في حقيقته السريَّة تواجُد متواتر مع المسيح القائم من بين الأموات "اصنعوا هذا لذكري"، تواجُد مشترك. فهو الذي يدعونا لنتصل به اتصالاً فعلياً شمولياً، وليس اتصال معرفة هنا، أو اتصالاً بالفكر؛ بل اتصال بجسد ودم المسيح، ليدخل المسيح بشخصه في واقع الإنسان بكل عمقه وامتداده، لا لنتواجد معه فقط، بل ليتواجد هو معنا حسب مسرَّة مشيئته: «لأنه حيث اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي، **فهناك أكون في وسطهم**» (مت ١٨: ٢٠)، ونحن لا ندعوه ليتواجد معنا فقط، بل إذا ختم الاجتماع بالتناول من الجسد والدم، فإنه يكون بمثابة دخول سرِّي فينا حيث نأكل ونشبع من وجوده ومن قيامته، لأن الجسد والدم يحملان قوة وفعل الفداء والحياة لنمو وثبوت الأعضاء في جسد المسيح السرِّي القائم من بين الأموات: «اثبتوا فيَّ وأنا فيكم.» (يو ١٥: ٤)

هنا العمل الصالح الذي أعدَّه لنا الرب بنفسه هو في الحقيقة طعام القيامة السرِّي النازل من السماء كل يوم ليعمل عمله ويفعل فعله العميق غير المنظور في خليقتنا الجديدة، ويثبِّت الأعضاء الجُدد في الجسد ويوحِّدهم جميعاً، ليكون لهم وللجسد كله مصدر حب وفرح وإلهام كقوة متجدِّدة وشكل واحد بالروح: «فإن كان عضو واحد يتألَّم، فجميع الأعضاء تتألَّم معه. وإن كان عضو واحد يُكرَّم، فجميع الأعضاء تفرح معه» (١كو ١٢: ٢٦). كل فرد يأخذ من الملء والملء يزداد بصورة مستمرة بانسكاب مواهب الله الجديدة على الجسد كله: «وأما أنتم فجسد المسيح، وأعضاؤه أفراداً» (١كو ١٢: ٢٧). وبالنهاية يصبح كل فرد ـ بسبب امتلاكه لصفات ومميزات

الإنسان الجديد ـ له كل ما للجسد من كرامة ومجد حتى مجد الرأس، والجسد له كل ما للأفراد في وحدة متناظرة فائقة هي أصلاً وبالأساس وحدة حب وبذل وانسجام وترفق، وهي الصفات التي لها القدرة الإعجازية على التجميع لبلوغ حالة تمجيد لله: «أنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني، **ليكونوا واحداً** كما أننا نحن واحد... وأنا ممجَّد فيهم.» (يو ١٧: ٢٢و١٠)

كيف أن استعلان العمل الصالح يمجِّد الله:

+ «فليُضئ نوركم هكذا قدَّام الناس، لكي يروا أعمالكم الحسنة، ويمجِّدوا أباكم الذي في السموات.» (مت ٥: ١٦)

هنا التمجيد الذي يقصده المسيح ليس التمجيد اللفظي، وإنما انعكاس النور الذي ينبعث من الأعمال الصالحة التي يعملها الإنسان الجديد فيكشف مجد الله للعالم. العالم **بطبيعته المادية** وبتركيبه المنطقي العلمي لا يعرف الله ولا يستطيع أن يعرفه من ذاته: «ولكن الإنسان الطبيعي لا يقبل ما لروح الله (أمور الروح) لأنه (لأنها) عنده جهالة، ولا يقدر أن يعرفه (يعرفها) لأنه إنما يُحكم فيه روحياً. وأما الروحي فيحكم في كل شيء وهو لا يُحْكَم فيه من أحد» (١كو ٢: ١٤و١٥). والأمور الطبيعية والمنطق العلمي بحدِّ ذاته يمكن أن يؤدِّي إلى معرفة الله وإنما بتوسُّط الروح القدس الذي يكشف الصلة بين الخالق والمخلوق، ولكن العالم من نفسه أو الإنسان الطبيعي بتركيبه الطبيعي ليس فيه روح الله، لأن الروح القدس هو عطية الله الجديدة للإنسان: «روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه، وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم ويكون فيكم.» (يو ١٤: ١٧)

إذن، أصبحت الأعمال الصالحة المعمولة بالروح القدس وبواسطة الإنسان الجديد المخلوق جديداً بالقيامة من بين الأموات، هي بمثابة الصلة الوحيدة بين

عالم الماديات ومنطق الطبيعة وبين الله خالقها. فالعمل الصالح المعمول بالنعمة هو برهان الروح الوحيد لإظهار الله كخالق وكشف قوته المختفية وراء الطبيعة والماديات. وهذا هو مجال تمجيد الله الوحيد، ولكن يلزم هنا أن يكون العمل الصالح قد بلغ قوته وكماله في جمع المتفرِّقين إلى واحد ولَمِّ شمل الأعضاء جميعاً في جسد واحد يتحرَّك بصورة إعجازية فائقة على مستوى الطبيعة في المحبة والأُلفة والبذل والفداء، حيث يصبح أيضاً وعاءً صالحاً يسكب الله فيه قوته الفائقة للمنطق العقلي، فتصبح الكنيسة بجملتها وبحدِّ ذاتها كوحدة مجتمعة شاكرة مسبِّحة مستقبلة لعطايا ومواهب الروح القدس، برهاناً على وجود الله وعمله وصلاحه، وتكون بوحدتها القوية غير المنحلة هي معجزة العالم الجديد الشاهد لله وسبب تمجيده إلى الأبد.

ولكن الذي يعطِّل شهادة الكنيسة لله كخليقة جديدة في العالم في كل زمان ومكان هو فُرقتها وانقسامها، سواء في العقيدة الواحدة أو من جهة انقسام العقائد كلها، أو من جهة السلوك المادي. العالم الآن غريب عن الله، بسبب تغرُّب الكنيسة عن طبيعتها وظهورها بهذه الصورة المنقسمة المتفرِّقة المتشايعة لهذا الزمان ولنفسها، وليس لله. فالكنيسة غير منظورة جيداً كعمل صالح، وغير موجودة كشهادة لله حيَّة وفعَّالة بالنسبة للعالم، وفُرقة الكنيسة وانقسامها وانشغالها بالماديات يجرِّدها من جوهر العمل الصالح، ويجعل تصرُّفها يظهر وكأنه من صميم الطبيعة الأرضية. هذا تعيشه الكنيسة دون أن تدري أنها بذلك تبرهن للإنسان الطبيعي على عدم وجود الله في العالم!

(١٩٧١)

المعمودية بالمفهوم الروحي
كمدخل للخليقة الروحانية الجديدة
أعظم أسرار الكنيسة وبابها المفتوح في السماء

■❖●❖■

أول مَنْ كشف هذا السر العظيم وربطه ربطاً محكماً بملكوت الله هو المسيح، عندما جاء إليه نيقوديموس ليلاً في أورشليم مضمراً أن يسأله عن ملكوت الله الذي يبشِّر به، فابتدره المسيح: «**الحق الحق أقول لك: إن كان أحد لا يولَد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت الله.**» (يو ٣:٣)

التعبير هنا سرِّي وبديع، فالذي يولَد من فوق هو وحده الذي يرى ما فوق!

ولَمَّا تعذَّر على نيقوديموس فهم إمكانية الولادة مرة أخرى، إذ ظنها أنها ولادة جسدية ثانية، انتقل المسيح في الحال ليكشف له ولأول مرة "**الولادة من الروح**": «**الحق الحق أقول لك: إن كان أحد لا يولَد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله**» (يو ٣:٥). والكلام هنا أيضاً منطقي وبديع، فلأن ملكوت الله ملكوت روحي، أصبح لا يمكن أن يدخله إلاَّ المولود من الروح. ولكي يقطع المسيح خط الرجعة على نيقوديموس فلا يعود يفكِّر في الجسد، قال له: «**المولود من الجسد جسد هو، والمولود من الروح هو روح**» (يو ٣:٦). هنا السر عميق، فالمسيح يشير إلى ولادة روحية جديدة غير الولادة الجسدية العتيقة. فبالولادة الأولى لَبِسَ الإنسان الجسد، وبالولادة الثانية لَبِسَ الإنسان الروح. وصارت ذات الإنسان جسداً بالميلاد من الجسد، وروحاً أيضاً

بالميلاد من الروح. «أما الجسد فلا يفيد شيئاً» (يو ٦:٦٣) من جهة ملكوت الله، لأنه من التراب أصلاً وإلى التراب يعود بالموت؛ أما الإنسان الثاني الروحاني المولود من الروح القدس والماء فهو إنسان السماء، الإنسان الذي من فوق، المخلوق ليرى ويدخل ملكوت الله ويحيا.

وهكذا عبَّر المسيح عن المعمودية أنها الباب المفتوح في السماء ليدخل منه كل مَنْ وُلِد من الماء والروح القدس.

السر الأول والأعظم في الكنيسة:

لقد استؤمنت الكنيسة وحدها على سر التعميد، لأنها الآن محسوبة أنها تعمل عمل ملكوت الله على الأرض وتكمِّله، كما استؤمنت على الروح القدس وإعطائه، فأصبح من حقِّها وواجبها معاً أن تلد للمسيح أولاداً وبناتٍ للملكوت. فالآن إن كان بدون أن نولَد من فوق لا نرى الملكوت، وبدون أن نولَد من الماء والروح لا ندخل الملكوت، هذا يعني مباشرة أن الكنيسة تحتفظ بسرِّ رؤية الملكوت والدخول فيه، المطلب الأول والأعظم للإنسان، وذلك بواسطة التعميد الذي فيه يولَد الإنسان من جديد ميلاداً روحياً بإنسان جديد يحيا فيه بانتظار الخروج من الجسد العتيق ليستوطن ملكوت الله.

الاتصال الثابت والدائم في المسيح:

وإنسان المعمودية الجديد الذي يولَد به الإنسان روحياً ميلاداً سرِّياً من فوق، **لا يحيا داخل الإنسان بمفرده تحت سطوة الإنسان العتيق.** ولكن لأنه يولَد من طبيعة المسيح القائمة من بين الأموات، **فهو يولَد منه ويظل متصلاً به** اتصالاً دائماً ووثيقاً، لا يفكُّه من المسيح إلاَّ خطية إنكار المسيح أنه ابن الله الذي تجسَّد وصُلِب وقام من بين الأموات:

+ «مَنْ اعترف أن يسوع هو ابن الله، **فالله يثبت فيه وهو في الله**. ونحن قد عرفنا وصدَّقنا المحبة التي لله فينا. الله محبة، ومَنْ يثبت في المحبة، **يثبت في الله**

والله فيه.» (١يو ٤: ١٥و١٦)

+ «مَنْ هو الكذَّاب، إلاَّ الذي يُنكر أن يسوع هو المسيح! هذا هو ضد المسيح، الذي ينكر الآب والابن.» (١يو ٢: ٢٢)

+ «والآن أيها الأولاد، اثبتوا فيه، حتى إذا أُظْهِرَ يكون لنا ثقة، ولا نخجل منه في مجيئه.» (١يو ٢: ٢٨)

+ «كل مَنْ يثبت فيه (حالة شركة روحية بالإنسان الجديد) لا يخطئ. كل مَنْ يخطئ لم يبصره ولا عرفه (هنا البصر والمعرفة تعبير عن الإيمان القلبي بالإنسان الجديد وليس العقلي).» (١يو ٣: ٦)

إنسان المعمودية الجديد له صورة المسيح وطبيعته:

+ «لأننا نحن عمله، **مخلوقين في المسيح يسوع**، لأعمال صالحة، قد سبق الله فأعدَّها لكي نسلك فيها.» (أف ٢: ١٠)

+ «وتلبسوا الإنسان الجديد (بالمعمودية) **المخلوق بحسب الله (على صورته)** في البر وقداسة الحق.» (أف ٤: ٢٤)

+ «إذ خلعتم الإنسان العتيق مع أعماله (بالإيمان والتوبة والاعتراف والعماد)، ولبستم الجديد الذي يتجدَّد للمعرفة **حسب صورة خالقه**.» (كو ٣: ٩و١٠)

+ «لأن كلَّكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد **لبستم المسيح**.» (غل ٣: ٢٧)

هنا حالة وجود والتصاق دائم بالمسيح كقول القديس بولس: «مَنْ التصق بالرب فهو روح واحد» (١كو ٦: ١٧)، الذي أسماه القديس يوحنا شركة روحية دائمة مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح.

ولكن الذي يسترعي انتباهنا في هذه الآيات أنها تصوِّر لنا بالفعل حالة خلقة داخلية روحية جديدة للإنسان يحياها، وله صورة الله وطبيعة القيامة في

المسيح التي لا يسود عليها الموت بعد والمهيَّأة للارتفاع.

على أن المعمودية يتم فيها بالسر موت الإنسان العتيق مع أعماله:

لأن إجراء سر المعمودية في إيمان الكنيسة يُعتبر لاهوتياً بمثابة الموت مع المسيح على الصليب والدفن في القبر ثلاثة أيام بثلاث غطسات باسم الآب والابن والروح القدس:

+ «نحن الذين متنا عن الخطية، كيف نعيش بعد فيها؟ أم تجهلون أننا كل مَنْ **اعتمد** ليسوع المسيح **اعتمدنا لموته**، فدُفِنَّا معه بالمعمودية للموت، حتى كما أُقيم المسيح من الأموات، بمجد الآب، هكذا نسلك نحن أيضاً في جدَّة الحياة.» (رو ٦: ٢-٤)

والذي نود أن نركِّز عليه، وهو الذي دفعنا للكتابة، هو أن إجراء المعمودية كسرٍّ ليس مجرد طقس وتمثيل، بل هو بالإيمان حالة مشاركة واقعية بالروح مع المسيح في آلامه وصلبه وموته ثم قيامته. فبمجرد أن يُعرَّى الإنسان من ملابسه وينزل ليُدفن في الماء تحت يد الأسقف (أو الكاهن)، فهذا هو الاعتراف الفعلي بالتجرُّد من العالم وأعماله. وحينما يُطلب من المعتمد أن يجحد الشيطان علناً، فإن ذلك يُحتسب له مشيئة شخصية وعهد. وحينما يخضع برأسه ويُدفن في الماء ثلاث مرات، يُعتبر أنه شارك بروحه وقلبه الداخلي (الإنسان الآخر الجواني) في عملية الموت والنزول إلى القبر والبقاء فيه ثلاثة أيام بمعنى تكميل حقِّ عقوبة الموت.

ولا يظن الإنسان بسذاجة أن هذه تمثيلية فاقدة فعلها، بل هي تُحسب فعلاً إرادياً موازياً لإرادة الصلب عند المسيح وموته ونزوله إلى القبر. على أن ما عمله المسيح على الصليب وفي القبر، هو بالإيمان فعل إلهي أكمله ابن الله وجعله فعلاً مفتوحاً ليشترك فيه كل إنسان بإيمانه القلبي وسيرته الروحية. فقوة أفعال المعمودية هي بعينها قوة أفعال ابن الله الوحيد على الصليب من أجل كل مَنْ يؤمن. لأن ابن

الله لم يكن بحاجة أن يُصلب ويموت، فهو القدوس البار الذي لم يفعل خطية ولا وُجد في فمه غش؛ إنما خضع تحت مشيئة الآب ليصنع بإرادته هذه الأفعال ليخلِّص بها الإنسان من الخطية والموت. فأصبح كل مَنْ يؤمن بها ويُثْبِت إيمانه بفعل المعمودية، يدخل شريكاً فيها ويتقبَّل كل نتائجها.

خلع الإنسان العتيق:

+ «**إذ خلعتم** (بالمعمودية والمشيئة والنية) **الإنسان العتيق مع أعماله**، ولبستم الجديد الذي يتجدَّد للمعرفة حسب صورة خالقه.» (كو ٣:٩)
+ «إن كنتم قد سمعتموه وعُلِّمتم فيه كما هو حق في يسوع، **أن تخلعوا من جهة التصرُّف السابق الإنسان العتيق الفاسد بحسب شهوات الغرور**، وتتجدَّدوا بروح ذهنكم.» (أف ٤:٢١-٢٣)
+ «قد تناهى الليل وتقارَب النهار، **فلنخلع أعمال الظلمة** ونلبس أسلحة النور... البسوا الرب يسوع المسيح، **ولا تصنعوا تدبيراً للجسد لأجل الشهوات.**» (رو ١٣:١٢و١٤)

هنا يستنهض القديس بولس الإحساس بقوة عمل المعمودية فينا.

+ «**وبه أيضاً خُتنتم ختاناً** غير مصنوع بيدٍ (المعمودية في المسيحية توازي الختان في اليهودية)، **بخَلْع جسم خطايا البشرية**، بختان المسيح. مدفونين معه في المعمودية، التي فيها أُقمتم أيضاً معه بإيمان عمل الله، الذي أقامه من الأموات. وإذ كنتم **أمواتاً في الخطايا** وغَلَف جسدكم، أحياكم معه، **مسامحاً لكم بجميع الخطايا.**» (كو ٢:١١-١٣)

هنا يشبِّه القديس بولس **خلع الإنسان العتيق** في المعمودية بما يتم في ختانة اليهود ومعناها، إذ تعني التخلُّص من الجزء النجس في الإنسان تعبيراً عن تطهير الإنسان. فأصبحت في المعمودية التي توازي فعل الختان اليهودي، التخلُّص من

الجسد العتيق جملة بكل أعماله، وأسماه: «**خلع جسم خطايا البشرية**»، الذي تمَّ لنا لاهوتياً بشركتنا في موت المسيح ودفنه: «مدفونين معه في المعمودية»، ما يحقِّق لنا إيمانياً صحة اعتقادنا بأننا في المعمودية نشترك في صلب المسيح وموته، الذي وصفه بولس الرسول بكل صحة لاهوتية هكذا:

+ «وإن كان المسيح فيكم (بالمعمودية)، **فالجسد** (العتيق) **ميِّت بسبب الخطية** (التي أبطلها المسيح في الجسد)، وأما الروح (الإنسان الجديد) فحياة بسبب البر (الذي هو بر الله في المسيح، الذي وهبه لنا بجسد قيامته).» (رو ٨: ١٠)

+ «لأن ناموس روح الحياة في المسيح يسوع (بالقيامة من بين الأموات في الجسد الجديد) قد أعتقني (أي خلَّصني) من ناموس الخطية والموت (الذي يعمل في الجسد العتيق).» (رو ٨: ٢)

ويلتفت بولس الرسول ويكلِّم المؤمنين بالمسيح الذين اعتمدوا وخلعوا جسد الخطايا الذي كان واقعاً تحت الناموس وحكم الموت بالناموس، ولبسوا الإنسان الروحي الجديد الذي لا علاقة له بالناموس أو الخطية أو الموت الأبدي هكذا: «وأما أنتم فلستم في الجسد (العتيق) بل في الروح (الإنسان الجديد)، إنْ كان روح الله ساكناً فيكم (بالإيمان والمعمودية والمسحة).» (رو ٨: ٩)

هذا يعني أن خلع الجسد العتيق مع أعماله هو أصلاً عمل المسيح على الصليب وفي القبر من أجلنا، ونحن نلناه معه بالإيمان وفي شركة المعمودية والدفن في الماء. ويوضِّح بولس الرسول معنى ذلك بأننا **أُعتقنا من ناموس الخطية والموت العامل في أعضاء الجسد العتيق، فحتى إن كان لا يزال يعمل في الجسد العتيق، ولكن لا قوة ولا سلطان للخطية أو الموت على الإنسان الجديد الروحي الذي أخذناه بالمعمودية**، والذي يُحسَب أنه قام من الموت مع المسيح وداس الخطية استعداداً لارتفاعه إلى فوق، حيث وُلِد وأخذ طبيعته

لميراث الحياة الأبدية مع المسيح الساكن فيه. ويؤكّد ذلك أيضاً بقوله: «لا شيء من الدينونـة الآن (على أي خطيـة) علـى الذيـن هـم في المسـيح يسـوع» (رو ٨: ١)، أي الذين اعتمدوا ومات فيهم الإنسان العتيق مـع أعماله الـتي صـارت أعمالاً مائتة، ولبسوا الإنسان الجديد المحسوب أنه خليقـة جديـدة علـى صـورة خالقها في البر وقداسة الحق.

استعلان البنوّة لله للإنسان الجديد في المعمودية:

+ «وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا **أولاد الله**، أي المؤمنـون باسمه. الذين وُلِدوا ليس من دم، ولا من مشيئة جسد، ولا من مشيئة رجل، بل من الله (وُلِدوا).» (يو ١: ١٢و١٣)
+ «انظروا أيـة محبـة أعطانـا الآب حتـى نُدعـى **أولاد الله**. مـن أجـل هـذا لا يعرفنا العالم، لأنه لا يعرفه.» (١يو ٣: ١)
+ «أيها الأحبـاء، الآن نحـن **أولاد الله**، ولم يُظهَـر بعـد مـاذا سـنكون...» (١يو ٣: ٢)
+ «كل مَنْ هـو **مولـود مـن الله** (بالمعمودية بـالروح وبالإيمـان) لا يفعـل خطية، لأن زرعـه يثبـت فيـه، ولا يسـتطيع أن يخطـئ لأنـه **مولـود مـن الله**.» (١يو ٣: ٩)
+ «كل مَنْ يؤمن أن يسوع هو المسيح (منطوق اعـتراف المعموديـة) فقـد **وُلِـدَ من الله**.» (١يو ٥: ١)

حين اعتمد المسيح شهد له الله الآب من السماء أنَّ: «هذا هو ابني الحبيـب الذي بـه سُررت» (مـت ٣: ١٧). وهكـذا كـل الذيـن يولـدون لله مـن المـاء والروح يشهد لهم الروح فيهـم: «إذ لم تـأخذوا روح العبوديـة أيضـاً للخـوف (روح الناموس)، بل أخذتم روح التّبني الذي به نصرخ يـا أبَـا الآب! الـروح

نفسه أيضاً يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله.» (رو ٨: ١٥و١٦)

+ «شاء **فولدنا** بكلمة الحق لكي نكون باكورة من خلائقه (بميلاد الماء والروح كخليقة جديدة).» (يع ١: ١٨)

هنا الولادة بكلمة الحق إشارة واضحة إلى فعل الخليقة الجديدة بكلمة الله.

+ «مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح، الذي حسب رحمته الكثيرة **ولدنا ثانية** لرجاء حي، بقيامة يسوع المسيح من الأموات.» (١بط ١: ٣)

هنا تعبير جميل أن الميلاد الثاني هو لرجاء حيّ يبقى محفوظاً في السموات.

+ «**مولودين ثانية**، لا من زرع يفنى، بل ممَّا لا يفنى (بالمعمودية)، بكلمة الله الحيَّة الباقية إلى الأبد.» (١بط ١: ٢٣)

هنا تعبير القديس بطرس بأن الميلاد الثاني هو من "**زرع الله**" sperma الذي لا يفنى، كناية عن الروح القدس، وهو عامل التوليد في الإنسان (الجديد) عِوَض "زرع الإنسان" الذي هو سائل الإخصاب sperma. وهو نفس التعبير الذي نسمعه عند القديس يوحنا أن المولود من الله لا يخطئ، لأن زرع الله ثابت فيه (١يو ٣: ٩)، بمعنى أن الروح القدس لا يفارِق الإنسان الجديد الذي ولده في المعمودية بالماء، بل يبقى متّحداً به ليمدَّه بالحياة الدائمة (الأبدية). فالإنسان الجديد حيٌّ بالروح القدس وحياته ممتدة في الأبدية.

+ «وكأطفال مولودين الآن (بعد المعمودية مباشرة وهم كبار)، اشتهوا اللبن **العقلي** (كلمة الإنجيل) العديم الغش لكي تنموا به.» (١بط ٢: ٢)

وقوله: "كأطفال مولودين"، مع أنه يكلِّم شعب الكنيسة وكلهم كبار رجالاً ونساءً الذين اعتمدوا بعد الإيمان مباشرة، يوضِّح مقدار التماثل في الميلاد الروحي الثاني. وقوله عن اشتهاء اللبن العقلي هو كناية عن مقدار شهوة الأطفال الرضَّع لرضاعة لبن الأم بنهم. فهو يدعونا أن نشتهي اللبن العقلي وهو

كلمة الإنجيل التي ننمو بها روحياً بوعي عميق كما ينمو الطفل بدوام اشتهاء رضاعة اللبن. و"عديم الغش" تعبير عن مصداقية الإنجيل والتعليم الرسولي.

لِبس الإنسان الجديد:

واضح أن "لِبس الإنسان الجديد" هي عملية متوازنة، فبقدر ما نخلع العتيق مع أعماله الشريرة، نلبس الجديد بأعماله الصالحة التي سبق الله فأعدَّها لنا لكي نسلك فيها (أف ٢: ١٠). وإن كان بولس الرسول يؤكِّد هذا: «لذلك لا نفشل، بل وإن كان إنساننا الخارج يفنى، فالداخل يتجدَّد يوماً فيوماً» (٢كو ٤: ١٦)، ولكن هذا إنما يكون بحسب شعورنا وملاحقتنا للجسد العتيق الذي لا يكف عن اشتهاء مشيئاته.

أما بحسب حقيقة عمل الله العجيب في سر المعمودية، فالإحلال والإبدال يكون كاملاً، لأن خلقة الإنسان الجديد بالروح تتم مرة واحدة وتكمل في ذاتها ولا يبقى على الإنسان إلاَّ اكتشاف مدى كمال العمل العظيم الذي أكمله الله له. فعطايا الله كاملة، والإنسان الجديد مخلوق على صورة خالقه في البر وقداسة الحق، وعلى الإنسان أن يؤمن ويستوعب الحق الذي عمله الله فيه.

وإن عَسُر على العقل البشري أن يُدرك عظمة هذا العمل، فذلك لأنه ليس خاضعاً للعقل أو المنطق وهو لا يُفهم قط على مستوى الاستحقاق، لأن الأصل في خلقة الإنسان الجديد للإنسان هو لينتقل به من الأرض إلى السماء ويحيا في ملكوت الله، فهو عمل مشيئة الله الكاملة من طرف واحد: «شاء فولدنا بكلمة الحق لكي نكون باكورة من خلائقه.» (يع ١: ١٨)

ولا يمكن ولا يصح أيضاً قياس عمل بر الله باستحقاقنا لهذه الخليقة الجديدة. فهذا أمر لا يجوز بمجرد التفكير فيه، لأن مدى البذل الذي بذله الآب لابنه، ومدى العذاب الذي لاقاه الابن في خلاصنا وإلباسنا هذه الخليقة الجديدة

لنحيا بها أمام الله في المسيح، لا يمكن أن يُقاس ولا يمكن أن يُقيَّم بشيء آخر أو حتى يُفهم بالعقل والمنطق. ولكن الذي يمكن، بل الذي يلزم علينا إدراكه، هو قيمة هذا الإنسان الجديد وعظمة خلقته الفائقة للعقل والمنطق. لأن كلما أدركنا عظمة هذا العمل ومجده كلما اقتربنا من حقيقة محبة الله وسرِّه المجيد.

حقيقة هذا الإنسان الجديد المخلوق لنا في سر المعمودية

«لأن كلّكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح» (غل ٣:٢٧)[١]:

أقصى ما يمكن أن يشتهيه الإنسان ويتمناه بعد أن يكون قد عرف المسيح جيداً وآمن به وأحبَّه، أن يقترب إليه ويحسّه أو يراه ويسمع صوته. لماذا؟

لأن المسيح هو الذي أثار طمعنا في ذلك، إذ بعد أن عرفنا أنه هو "الكلمة" الذي عند الآب وأنه هو صورة الله ورسم جوهره غير المنظور، وأنه كائن في الله: «وكان الكلمة الله» (يو ١:١)؛ عاد وسمح الله أن يتجسَّد ابنه ويولد من امرأة (عذراء) ويصير إنساناً مثلنا تماماً (ما خلا الخطية). من هنا ثارت فينا شهوة عارمة أن نتعرَّف على المسيح أخينا البكر ونقترب إليه ونراه، لأنه حامل سر الله وصورته وجوهره ومجده!! وحاملنا بآن واحد. والذي جعل شهوتنا في التعرُّف عليه والاقتراب إليه تزداد، أننا تيقّنا أنه إنما تجسَّد لكي يرفع عنّا ثقل الإنسان العتيق مع أعماله وخطاياه، الأمر الذي مرَّر حياتنا وجعلنا نيأس من أن نحيا بالقداسة والبر أمام الله.

إذن، فتعرُّفنا على المسيح عن قرب ورؤيتنا له في ذاته واتصالنا به سيكون ضماناً لحياة القداسة والبر أمام الله كونه هو القدوس البار. هذا لسان حالنا

(١) "اعتمدتم بالمسيح": الاعتماد بالمسيح أو للمسيح يعني التبعية، فإن اعتبرت الكنيسة المعمودية كختم، فهو ختم تبعية مطلقة للمسيح. والمعنى الروحي أن المعمودية موت، تقديم الذات ذبيحة. فالقول: "اعتمد للمسيح"، يعني أن الذبيحة لحساب المسيح: "متنا له".

وحقيقة ضمائرنا التي كشفها الله وأعطانا إيَّاها قبل أن نسألها وبدون أن نفكر فيها أو نتصورها.

إذ بعد أن أكمل المسيح كل أعمال الفداء والكفّارة لمغفرة الخطايا بالموت على الصليب وبقائه في القبر ثلاثة أيام ليوفّي عقوبة الموت ولعنته عنا، أقامه الله من بين الأموات ورفعه فوق أعلى السموات وأجلسه عن يمينه ـ كعمل كامل كمالاً فائقاً ـ للإنهاء على خطايانا وعقوبة الموت واللعنة وفك غضب الله عنا ومنح صلاحية البنوَّة لنا لكي نصبح أولاد الله، ووهبنا ميراثاً مع المسيح في ملكوته والحياة الأبدية.

بعد كل هذا ظلَّ الإنسان في حاجة واقعية فعلية للاتحاد بالمسيح نفسه لضمان سريان عمله الفدائي والخلاصي فينا، وسريان روحه وبره ونعمته لروحنا؛ حتى به، وبالاتحاد به، نضمن دوام خلع إنساننا العتيق الذي مات معه على الصليب، كما نضمن دوام لبس الإنسان الجديد الذي خلقه لنا من جسد قيامته بروحه. وهذا هو ما عمله الله فينا في سر المعمودية!! إذ جعل إنساننا الجديد الروحي يلبس المسيح الرب الروح، وهو أصلاً ليس غريباً عنه، لأنه سبق وخلقه على صورته في البر وقداسة الحق. فأصبح لِبْس المسيح بمثابة اتحاد بطبيعة المسيح القائم من بين الأموات، وليس بمجرد نوال صفات المسيح. وأصبح الإنسان الجديد يستمد منه برَّه الذاتي وقداسته الذاتية.

تقول في نفسك هذا كثير وفوق العقل والمعقول، ولكن هذه هي عطية الله والمسيح. ويتحتم أن تكون فوق العقل والمعقول، لأن الله عظيم والمسيح كذلك، ويلزم أن تكون عطاياه عظيمة وبلا حدود. اسمع القديس بولس وهو يصف عمق وامتداد خطة الله في عطاياه العظيمة:

+ «مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي باركنا **بكل بركة روحية في**

السماويَّات في المسيح، كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم، لنكون قديسين وبلا لوم قدَّامه في المحبة. إذ سبق فعيَّننا للتبنِّي بيسوع المسيح لنفسه، حسب مسرَّة مشيئته.» (أف ١:٣–٥)

لذلك لا يستغرب القارئ حينما يسمع بولس الرسول يقول:

+ «مع المسيح صُلبت، فأحيا لا أنا، بل المسيح يحيا فيَّ. فما أحياه الآن في الجسد، فإنما أحياه في الإيمان، إيمان ابن الله، الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي.» (غل ٢:٢٠)

هكذا ملأ المسيح إنساننا الجديد حتى أصبح للإنسان أن يقول إن المسيح يحيا فيَّ.

إنها بحسب تدبير نعمة الله ورحمته، عملية تعويض عظمى، هي حلم الإنسان أن يفرِّغه الله من إنسانه الخاطئ العتيق ويُلبسه إنساناً جديداً على صورة الله في البر وقداسة الحق. **هذا هو الإيمان المسيحي!!!** فنحن خليقة جديدة في المسيح: «مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة، قد سبق الله فأعدَّها لكي نسلك فيها!» (أف ٢:١٠)

الإنسان الجديد مخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق:

هنا خلقة الإنسان الجديد تجيء على أساس طبيعة الله: "**بحسب الله**" κατὰ Θεόν، وقد تُرجمت بالإنجليزية the likeness of God، **في البر وقداسة الحق** (أف ٤:٢٤). ذلك مقابل خلقة الإنسان العتيق «**الإنسان العتيق الفاسد بحسب شهوات الغرور**» (أف ٤:٢٣). عملية مبادلة يقوم بها الله **من داخل سر المعمودية**، دون أن نشعر بها أو ندركها، ولكنها عمل خلقة فائق على ملاحقة العقل وتصوُّراته. ولا نعرف عن دقائق عمل الله في هذا التبادل إلاَّ في النهاية حينما يَسْتَعلِن لنا الله عمله، أننا خليقة لإنسان جديد بحسب الله في البر

وقداسة الحق، في مقابل «الإنسان العتيق الفاسد بحسب شهوات الغرور».

العملية تمت في الكنيسة بالمعمودية بالتوازي مع ما عمله المسيح على الصليب وفي القبر وفي القيامة. فسرُّ المعمودية تسنده قوة الموت على الصليب، وقوة القيامة من بين الأموات! وكلا العمليتين سرِّي للغاية لا يُدرَك عملهما إلاَّ بالاستعلان الروحي. لذلك أصبح الإيمان بموت المسيح وقيامته يُجازَى أو يُحقَّق للمؤمن عملياً في سرِّ المعمودية!! حيث في الموت أنهى المسيح على جسد الخطية وفساده، وفي القيامة استعْلَن البر والقداسة والحياة الأبدية: «الذي أُسلم من أجل خطايانا، وأُقيم لأجل تبريرنا.» (رو ٤: ٢٥)

بالجسد الجديد فينا نحصل تلقائياً على شركة مع المسيح:

«قد لبستم المسيح» (غل ٣: ٢٧):

نحن الآن أمام حصيلة الإيمان المسيحي وليس أعماله. فالإيمان بالمسيح، أنه ابن الله الذي أتى بالجسد وأكمل لنا الفداء بالموت على الصليب والخلاص والحياة الأبدية بالقيامة من بين الأموات، يحقِّق لنا من داخل سر المعمودية استحقاق الشركة مع المسيح. على أن الإيمان بالمسيح ونوال الخليقة الجديدة بالمعمودية عند القديس بولس هو بعينه عند القديس يوحنا استعلان الحياة الأبدية التي كانت عند الآب وأُظهرت لنا في شخص يسوع. وهكذا فإن هذا الاستعلان، استعلان الحياة الأبدية، يحقق لنا الشركة التي تتم لنا مع المسيح في المعمودية؛ حيث استعلان الحياة الأبدية كاستعلان النور، يجعلنا في حالة شركة فيه(٢)، وكاستعلان الحق ـ أي معرفته ـ يجعلنا في الحق والحق فينا. هكذا

---

(٢) وفي ذلك يقول القديس إيرينيئوس:

[كما أن الذين يرون النور يكونون هم أنفسهم داخل النور ويشتركون في لمعانه، هكذا أيضاً الذين يرون الله يكونون داخل الله ويشتركون في ضيائه. ولكن ضياء الله هو ضياء محيي، ولذلك فالذين يعاينون الله يشتركون معه في الحياة.] (ضد الهرطقات ٤: ٢٠: ٥)

نعمة استعلان الحياة الأبدية التي في المسيح تجعلنا في شركة طبيعية مع المسيح والآب:

+ «فإن الحياة أُظْهِرَت (في المسيح)، وقد رأينا ونشهد ونُخبركم بالحياة الأبدية التي كانت عند الآب وأُظْهِرَت لنا (في المسيح). الذي رأيناه وسمعناه نخبركم به، لكي يكون لكم أيضاً شركة معنا. وأما شركتنا نحن فهي مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح. ونكتب إليكم هذا لكي يكون فرحكم كاملاً.» (١يو ١:١-٤)

وهذه هي أعظم **وأهم مميزات الإيمان المسيحي** التي يحصل عليها كل مَنْ آمن بقلبه واعتمد باسم المسيح.

الإنسان الجديد لا يخطئ ولا يجوز الدينونة:

لأن طبيعة الإنسان الجديد المولود ثانية بالروح هي من طبيعة جسد المسيح المُقام من بين الأموات، وهي متّحدة بها، فأصبح الإنسان الجديد بحسب القديس يوحنا ذا طبيعة **لا تخطئ ولا تستطيع أن تخطئ**؛ وبالتالي لا يدخل الدينونة بحسب القديس بولس: «كل مَنْ هو مولود من الله لا يفعل خطية، لأن زرعه يثبت فيه، ولا يستطيع أن يخطئ لأنه مولود من الله.» (١يو ٣:٩)

واضح أن طبيعة الإنسان الجديد روحية: «إن كان أحد لا يولَد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله» (يو ٣:٥)، وهي طبيعة سماوية: «إن كان أحد لا يولَد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت الله.» (يو ٣:٣)

إذن، فميراث الإنسان الجديد، وهو ملكوت الله، يمنع كليَّة أي صلة بطبيعة الخطية التي هي أصلاً من الجسد الترابي وتنتهي إليه: «لأنك ترابٌ وإلى ترابٍ تعود.» (تك ٣:١٩)

وهذه الرؤية الصافية للإنسان الجديد عند القديس يوحنا، كونه لا يخطئ

بسبب طبيعته المخلوقة على صورة خالقه في البر وقداسة الحق والمتصلة بـه، بل ولا يستطيع أن يخطئ لأنـه مولـود مـن الله وروح الله (زرعـه) ثـابت فيـه ـ يقابلها عند القديس بولس رؤية لاهوتية أخـرى للإنسـان الجديـد، كونـه أخذ طبيعة روحانيـة انفـكّ بهـا الإنسـان مـن الارتبـاط بالنـاموس القديـم، وبالتـالي بالخطية والدينونة. وهكذا أصبـح الإنسـان الـذي آمـن بالمسيح واعتمـد ونـال مسحة الروح القدس وحـاز علـى خلقـة الإنسـان الجديـد الروحـي، غـير قـابل للدينونة التي ستأتي على الخطـاة الذيـن لم يؤمنـوا وعاشـوا في الإنسـان العتيـق، إنسان الخطية، وهو يقول:

+ «فإني أُسرُّ بناموس الله بحسب الإنسان الباطن (الإنسـان الجديـد الروحـي). ولكني أرى ناموساً آخر في أعضائي (الإنسان العتيق) يُحَارِب ناموس ذهـني (ناموس الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق)، ويسبيني إلى ناموس الخطية الكائن في أعضائي.» (رو ٧: ٢٢و٢٣)

هنا أخطر موقف للإنسان المسيحي بعد أن حاز على خلقة الإنسان الجديـد الروحي، يظل ناموس الجسـد العتيـق ـ ويقصـد بـه أهـواء وشـهوات الإنسـان العتيق مع عاداته القديمة ـ تعمـل وتشـتد في محاصرتهـا للإنسـان الجديـد حتـى تسبي الإنسان، أي تطغى عليه وتفرض سلطان الخطية. هنا يقف القديس بولس موقف **الحائر المخذول** ويصرخ: «ويحي أنا الإنسان الشـقي! مَـنْ ينقذنـي مـن جسد هذا الموت؟» (رو ٧: ٢٤)

ولكن تنفرج الرؤيـة الإيمانيـة عنـد القديـس بولـس ويـرى نفسـه أن الله لم يتركه تحت سطوة الجسد العتيق وعاداته وخطاياه التي تجرُّه قسراً إلى الخطية، إذ أعطانا بالمسيح يسوع معيناً آخر خلقه فينا من روحه وجسـده القـائم مـن بـين الأموات غالباً الخطية ومُبطـلاً المـوت والنـاموس جملـة، وهـو "الإنسـان الجديـد المخلوق فينا بحسب الله في البر وقداسة الحق". هذا يستمد ناموسه مـن الـروح

ومن المسيح، ويعمل البر لحساب القداسة والحق، **لا كصفات، ولكن كطبيعة** تغذيها النعمة من الله. هنا أدرك بولس الرسول التعادل المدهش الذي دخل فيه الإنسان بالإيمان بالمسيح، إذ في مقابل الإنسان العتيق بعاداته المستحكمة وخطاياه التي تطغى على ملكات الإنسان وتسبيه إلى الخطية، وُجِدَ الإنسان الجديد المخلوق بطبيعة القيامة وبروح الله وعلى صورة خالقه في البر والقداسة والحق، يعمل منتصراً لحساب الله والبر والقداسة والحق، فيلغي سلطان الجسد العتيق وينتصر على إيحاءاته الباطلة، وإليك:

+ «أشكر الله بيسوع المسيح ربنا، إذ **أنا نفسي**

١. بذهني (الإنسان الجديد المسيطر على الذهن الروحي) أخدم ناموس الله،

٢. ولكن بالجسد ناموس الخطية.» (رو ٧:٢٥)

والنتيجة:

+ «**"إذاً" لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع** (بالإيمان والمعمودية).» (رو ٨:١)[٣]

ولماذا؟

يعود القديس بولس ويعطي هو نفسه الإجابة: «لأن ناموس روح الحياة في المسيح يسوع (الذي خلق به الإنسان الجديد الروحي فينا) قد أعتقني من ناموس الخطية والموت.» (رو ٨:٢)

هنا يُلاحَظ أن كلمة "**أعتقني**" تأتي في مقابل كلمة "**يسبيني**" السابقة،

---

(٣) كما سبق وقلنا، فإن هذه الزيادة «السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح»، إنما تُقبل فقط على أساس أنها تشرح معنى «الذين هم في المسيح يسوع» وليست مضافة إليها، لأن «الذين هم في المسيح يسوع» لا يمكن أن يعيشوا حسب الجسد، كما أنهم حتماً يعيشون حسب الروح.

والعتق من ناموس الخطية هنا لم يأتِ بأعمال الإنسان، بل بسبب عطية الله المجانية بِلِبْس الإنسان الجديد الحائز على ناموس روح الحياة. فبقدر ما أن الجسد العتيق بخصاله وعاداته وتعهُّده السابق مع الخطية كان له القدرة أن يسبيني إلى ناموس الخطية؛ **إذا بناموس روح الحياة (النعمة) في المسيح يسوع، الذي استقر في أحشائي مع الإنسان الجديد، قد أصبح له القدرة الأعلى من قدرة الجسد العتيق في أن يعتقني أصلاً من ناموس الخطية والموت.**

هذا يعني أن الله أعطانا هذا الجسد الجديد الروحي فينا، بالإيمان بالمسيح وبالمعمودية، بقدراته الروحية الجديدة الفائقة، ليبطل به سيادة وتجبُّر الإنسان العتيق فينا، ليس في أعيننا وفي إحساسنا؛ بل أمام الله وعدله الفائق في البر والرحمة.

ولكن:

لا تزال الميزة العظمى التي نلناها بالإيمان المسيحي بسبب حصولنا بالإيمان وسر المعمودية على هذا الإنسان الجديد (الذي يمثِّل شخصيتنا وذاتنا الحقيقية أمام الله كما تسميه الترجمة الإنجليزية The new self، أي الذات أو الأنا "الإجو" الجديد للإنسان المعمَّد)، هذه الميزة هي أننا أُعفينا من الدينونة العتيدة نهائياً: «**لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع**». وإذا أخذنا فرضاً ببقية الآية (وهي غير موجودة في المخطوطات القديمة، وأُسقطت نهائياً من الترجمة الإنجليزية)، والتي تقول: «السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح»، فهي تُفهم على أنها تشرح القول «الذين هم في المسيح يسوع» وليست مُضافة إليه.

والشرح بهذه الروح الإيجابية الذي يطيِّب قلب الإنسان، أُهمل في التعليم، وقلَّ مَنْ ينتبه إلى حقِّه الإلهي في هذا الوعد. مع أنه حق مجاني لا يحتاج إلى

سعي أو جهد، فهو هبة. وهو عند القديس بولس على وزن ما جاء في الإنجيل: «**مَنْ آمن واعتمد خَلَصَ**» (مر ١٦:١٦)، حيث الإيمان يتحتّم أن يكون بالقلب.

الموازنة بين المعمودية والصليب:

بولس الرسول هو الذي التفت إلى هذه الموازنة الخطيرة: «أم تجهلون أننا **كل مَنْ اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته**، فدُفِنّا معه بالمعمودية للموت، حتى كما أُقيم المسيح من الأموات، بمجد الآب، هكذا نسلك نحن أيضاً في جدَّة الحياة.» (رو ٦:٣و٤)

بمعنى أن سرَّ المعمودية هو على غرار سر الإفخارستيا: مشاركة فعلية واتحاد!!

فكما أعطانا المسيح عملية[٤] سر الإفخارستيا ليكون لنا على مدى الدهر الفرصة الحية العملية أن نشترك اشتراكاً سرِّياً واقعياً، إنما بالروح، في ذات جسد المسيح ودمه المسفوك على الصليب باعتباره ذبيحة فداء ندخل في صميمها ونتحد بها لنحيا بها حياة جديدة أبدية؛ هكذا أعطانا عملية[٤] سر المعمودية ليكون لنا شركة عملية حيَّة فعلية في عملية صلبه وموته ودفنه بالكامل، وبالتالي يكون لنا فعاليتها ونتائجها التي ذكرها على التو بعد ذِكر الموت والدفن: «حتى كما أُقيم المسيح من الأموات، بمجد الآب، هكذا نسلك نحن أيضاً في جدَّة الحياة». بمعنى أننا إذا شاركناه في موته ودفنه بالمعمودية، يكون لنا الحق بالتالي أن نشاركه في قيامته التي قامها بمجد الآب، وبالضرورة نحيا معه في حياة القيامة الجديدة الأبدية.

---

(٤) نقول هنا عملية سر الإفخارستيا وعملية سر المعمودية، لأنهما يدخلان في صميم عملية الخلق الروحي السري للإنسان الجديد في المسيح يسوع بالقيامة من بين الأموات.

ولكن، ما هو أصل وسبب إعطائنا سر المعمودية؟

المسيح لا ينقل لنا عملية صلبه وآلامه وموته ودفنه وقيامته كمجرد هبة أو أمر أو وثيقة نطقها فكانت! وإنما حقيقة ذلك عميقة ومدهشة، لأن المسيح لم يُصلب ويتألم عن نفسه! فهو لم يخطئ ولا كانت له أي علاقة بالخطية حتى يُعاقَب وتحل عليه العقوبة ويحل عليه الموت! لولا أنه لمَّا لَبِسَ جسدنا أولاً بالميلاد من العذراء القديسة ومن الروح القدس، ثم ارتضى وسلَّم نفسه للسنهدريم وقَبِلَ أن يُحاكمه على خطايا كاذبة وهمية من صنع فكر الرؤساء وشهود الزور، ولم يعترض لا على القضاة (وهم غير مؤهلين) ولا اعترض على التهم التي لفَّقوها عليه، ثم ارتضى أيضاً ووافق وسلَّم نفسه للمحكمة الرومانية ولم يعترض ولم يرد على الاتهامات ولا دافع عن نفسه نهائياً؛ فبهذا السلوك يكون قد وافق على جميع التهم الموجَّهة ضده وجميع الخطايا التي نُسبت إليه، وبالتالي قَبِلَ بالحكم وما يلزم من الآلام. ولهذا حُسِبَ له أنه قَبِلَ وحمل خطايانا في جسده على خشبة الصليب ليموت بمقتضاها.

إذن، فالآلام التي جاءت عليه هي أصلاً آلامنا التي نستحقها. كذلك الموت وتكميله بالدفن هو في الحقيقة موتنا. لهذا اعتُبِرت أعمال الآلام والصلب والموت والدفن مشاركه منه في عقوبتنا، أو في الحقيقة نحن الذين اشتركنا معه بطبيعتنا الجسدية الخاطئة لكي يستطيع بعد أن يكمِّلها معنا ولنا بقيامته من بين الأموات كابن الله، أن يقيمنا معه بلا خطية مبرَّئين بلا عقوبة ولا غضب، بل ومصالَحين مع الله الآب بطبيعتنا الجديدة المخلوقة لنا فيه.

ولكي يسلِّمنا المسيح هذه الطبيعة الجديدة المخلوقة فيه بالقيامة من بين الأموات الخالية من الخطية والمعتوقة من الدينونة؛ دبَّر لنا عملية المعمودية كعمل روحي سرِّي، يُجرِي فيه وبواسطته تسليم هذه الطبيعة لنا على صورة خالقها في البر وقداسة الحق، بأن أعطانا أن نلبسه لبساً بالروح ليصير هو قائماً حيًّا فينا ونحن فيه على صورته في البر وقداسة الحق. لذلك حُسِبت المعمودية بكل

أعمالها السرِّية المجانية موازية تماماً لكل أعمال الفداء التي عملها الآب في ابنه ولها كل مفاعيلها ونتائجها، بل وكرامتها ومجدها.

ومرة أخرى تكشف لنا الآية كل هذا الحق:

+ «أم تجهلون أننا كل مَنْ اعتمد ليسوع المسيح **اعتمدنا لموته، فدُفِنَّا معه بالمعمودية للموت**، حتى كما أُقيم المسيح من الأموات، بمجد الآب، هكذا نسلك نحن أيضاً في جِدَّة الحياة. لأنه إن كنَّا قد صرنا متَّحدين معه بشِبه موته (على الصليب، وفي المعمودية)، نصير أيضاً بقيامته. عالمين هذا: **أن إنساننا العتيق قد صُلب معه ليُبطل جسد الخطية**، كي لا نعود نُستعبد أيضاً للخطية. لأن **الذي مات قد تبرَّأ من الخطية...** فإن الخطية لن تسودكم، لأنكم لستم تحت الناموس بل تحت النعمة.» (رو ٦:٣-٧و١٤)

- فكما أبطل المسيح الخطية بموته، أُبطلت الخطية بالمعمودية.
- وكما أن إنساننا العتيق قد صُلِبَ معه، هكذا صُلِبَ الإنسان العتيق في المعمودية ومات.
- وكما أن بموت الصليب قد نلنا الفداء والبراءة من الخطية، هكذا بموت المعمودية قد نلنا البراءة من الخطية.
- وكما بعد الموت والدفن قام جسد المسيح بمجد الآب وبرِّه ونحن فيه، هكذا في المعمودية نأخذ بعد شركة الموت والدفن مع المسيح قوة قيامته بمجد الآب وبرِّه، أي نقوم مبرَّرين وبلا لوم أمامه في المحبة والنعمة.

بل ويؤكِّد بولس الرسول في رسالته إلى أهل أفسس أن كل مكاسب الصلب والموت والدفن وما بعدها أيضاً من القيامة والارتفاع بالمجد إلى أعلى السموات وإخضاع كل القوات السمائية، قد أُعطيت لنا في شخص الكنيسة هكذا:

+ «وما هي عظمة قدرته الفائقة نحونا نحن المؤمنين، حسب عمل شدَّة قوته الذي عمله في المسيح، إذ أقامه من الأموات، وأجلسه عن يمينه في السماويَّات، فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة، وكل اسم يُسمَّى ليس في هذا الدهر فقط بل في المستقبل أيضاً، وأخضع كل شيء تحت قدميه، وإيَّاه **جعل رأساً فوق كل شيء للكنيسة**، التي هي جسده، ملء الذي يملأ الكلَّ في الكلِّ.» (أف ١:١٩-٢٣)

أي أن كل مكاسب المسيح، إن بموته أو قيامته، صارت **للكنيسة** أو بالحري لنا. على أن أهم عملية في الفداء بالكفَّارة على الصليب كانت موت إنسان الخطية، وقيامة الإنسان الجديد الروحي، وهذه يحقِّقها سرُّ المعمودية: بخلع الإنسان العتيق الذي صُلب ومات مع المسيح، ولِبس الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق أي المسيح نفسه. **هذه العملية السرية الهامة جداً، وهي خلع الإنسان العتيق ولبس المسيح أي الإنسان الجديد، صارت أعظم عمليات الإيمان بالمسيح التي تجرى مجاناً وسرًّا بواسطة المعمودية**، التي يخرج منها الإنسان جديداً ليحيا مع المسيح في جدَّة الحياة، أي الحياة الأبدية في شركة كاملة سرِّية مع المسيح بالروح القدس.

من هنا يشدِّد طقس العماد بضرورة خلع الملابس التي تشير إلى الإنسان العتيق ونزول الإنسان عرياناً تماماً للغطس تحت الماء بشبه الدفن ثلاث مرات على اسم الثالوث القدوس، ثم بمجرد خروجه من الماء يُعطى ثوباً أبيضَ جديداً يلبسه إشارة إلى الإنسان الجديد. وهذه وإن كانت إشارات إلاَّ أن مرادفها على الصليب كانت حقائق خطيرة وذات مفاعيل إلهية.

وكما استُعلن الموت والقيامة في عملية الفداء والخلاص التي أكملها المسيح من أجلنا؛ كذلك، وعلى نفس المستوى، استُعلن في المعمودية موت الإنسان العتيق في

الإنسـان ولبس الإنسـان الروحـي الجديـد. لهـذا أصبـح الإيمـان بهـذا ـ بـالصليب وبالقيامة ـ هو بذاته الإيمـان بذلـك في المعمودية على نفس القـوة والفاعليـة، لأن جوهر الإيمان وفاعليته هو في تصديق استعلان الله في الصليب والمعمودية. وهذا يتم بواسطة الوعي الروحي للإنسان الجديد.

وعي الإنسان الجديد المؤسَّس على الإيمان والرجاء والمحبة:

وظيفة الوعي (الذهن المفتوح) للإنسان الجديد هو الارتبـاط الوثيـق بخالقـه، ويتم بناءً علـى ثـلاث مواهـب مُنحـت لـه لهـذا الغـرض أي لتكميـل الاتصـال والاتحاد بالله والمسيح:

١ ـ **قوة الوعي الأولى للإنسان الجديد هي الإيمان ويتوقف على تصديـق استعلانات الله:** الأمر الذي يُنشئ في الحـال للـذات البشـرية الجديـدة الإحساس ببر الله يسري فيها كدالة، كما يشعر الابن بقربـه مـن أبيـه وصلته الذاتية كابنٍ لأب. بمعنى أنه بمجرد أن يصـدِّق الإنسـان بحاسـة الإيمان لإنسانه الجديد الروحي في الداخـل أن الله أحبنـا واستعلن لنـا الحياة الأبدية في ابنه، فإن الجزاء المباشر من الله هو إعطاؤنا هذه الحياة الأبدية في ابنه، بل وإعطاؤنا ابنه بذاته ليكـون لنـا حيـاة جديـدة فيـه، وبالتالي لننال نفس الدالة مع الآب ذاته: «أمـا شـركتنا نحـن فهـي **مـع الآب** ومع ابنــه يسـوع المسيح» (١يـو ١:٣)، لمـاذا؟ (بلغـة القديـس يوحنا) لأننا صدَّقنا محبة الآب التي لنا، وصدَّقنا عطيته لنا في ابنه، وهي الحياة الأبدية.

٢ ـ **قوة الوعي الثانية للإنسان الجديد هي الرجاء:** ويعطينا الرجـاء الثقـة بالله وترقُّب تنفيذ وعوده بيقين وكأنه قد حدث. ويكون نتيجـة هـذه الثقة في وعود الله أن يحفظ حقوقنا فيهـا ويسبق ويعطينـا أن نتذوَّقهـا كالعربون وكأننا نعيشها، فترتفع درجة فرحنا بالله للغاية: «فرحين في

الرجاء.» (رو ١٢:١٢)

٣ _ **قوة الوعي الثالثة للإنسان الجديد هي المحبة:** وتعطينا أن يظهر ا لله في حياتنا كأول كل شيء وأهم من كل شيء، وتختفي ذواتنا وراءه فيُرَى ا لله فينا ولا نُرَى نحن. ويصير اسمه محبوباً عندنا كأعظم هدية نقتنيها، فيجازينا هو بمحبته الفائقة عن الوصف كمحبة الآب لابنه: «والذي يحبني يحبه أبي، وأنا أُحبه، وأُظهِر له ذاتي» (يو ١٤:٢١)، «لأن المحبة هي من ا لله، وكل مَنْ يحب فقد وُلِد من ا لله ويعرف ا لله.» (١يو ٤:٧)

ومن مفاعيل هذه القوة الروحية الثلاثية الأبعاد في الإيمان والرجاء والمحبة التي للإنسان الجديد، أن ينمو الإنسان المسيحي في معرفة الله وحبه وطاعته بلا عائق، ويتربَّى على الخضوع والطاعة الكاملة. وهكذا إذا استخدم الإنسان الجديد مواهبه الممنوحة من الله للإيمان والرجاء والمحبة، يتقدَّس الإنسان ويصير من خاصة الله، لا بالأعمال التي يعملها، بل باستخدام المواهب والقوة الكائنة فيه.

هذه الثلاثة: الإيمان والرجاء والمحبة، هي من صميم طبيعة الإنسان الجديد التي وُهبت له لتهيئ له حياة الشركة الدائمة مع الله. وإن كانت المحبة أعظمهن، فالإيمان أولهن الذي يفتح الباب على أسرار وعطايا الله الفائقة، لأن: «بدون إيمان لا يمكن إرضاؤه» (عب ١١:٦). على أنه من العسير أن توجد واحدة منها بمفردها. فالإيمان والرجاء والمحبة، هي مثلث النعمة المتّجه برأسه إلى فوق، ذو الثلاثة أضلاع المتحدة في نقطة واحدة، هي العين الرائية.

(ديسمبر ١٩٩٦)

إنسان المعمودية الجديد والكنيسة، والكنيسة وجسد المسيح، وجسد المسيح ونحن

■❖✝❖■

ميلاد الإنسان ثانية من الماء والروح أي المعمودية حسب قول المسيح، هو امتداد سرِّي فائق لقيامة المسيح بجسد الإنسان وهو في حالة روحية جديدة ممجَّدة، وقد سقطت عنه عقوبة الموت وانتصر ضد الشيطان والخطية.

هذا الإنسان الروحي الجديد المحسوب أنه خليقة جديدة في المسيح أصبح عضواً حيًّا فعَّالاً في الكنيسة، وأصبحت الكنيسة به كنيسة الإنسان الجديد القائم من بين الأموات مع المسيح، والمتّحد به. وعلى القارئ أن ينتبه حينما نتلو أمامه ما قاله القديس بولس بوحي الروح عن الكنيسة، وهو ـ بآن واحد ـ يصف ما تمَّ للإنسان الجديد في المعمودية هكذا:

+ «أحبَّ المسيح أيضاً الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها، لكي يُقدِّسها، مطهِّراً إيَّاها بغسل الماء بالكلمة، لكي **يُحْضِرَها** لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غَضْنَ (الغضن هو تجاعيد الوجه من جراء الشيخوخة) أو شيء من مثل ذلك، بل تكون مقدَّسة وبلا عيب.» (أف ٥:٢٥-٢٧)

والقديس بولس يتكلَّم بمثل هذا الكلام عن الإنسان الذي خرج من المعمودية له هذه الصفات عينها، هكذا: «وهكذا كان أُناسٌ منكم (منجَّسين

بكل خطية). لكن اغتسلتم، بل تقدَّستم، بل تبرَّرتم باسم الرب يسوع وبروح إلهنا.» (١كو ٦ : ١١)

واضح هنا أن القديس بولس حينما يتكلَّم عن الكنيسة الجديدة الروحية، كنيسة العهد الجديد، فهو إنما يتكلَّم عن إنسان المعمودية الجديد. فنحن الكنيسة الجديدة التي أحضرها الله لنفسه من عمق الخطية والموت والهاوية في شكلها البشري الجديد، الذي هو تماماً شكل المسيح القائم من بين الأموات بذات طبيعته.

لذلك حينما يقول بولس الرسول ويكرِّر القول إن "الكنيسة هي جسد المسيح"، فهو هنا لا يتجاوزنا، بل يحيط بنا ويحصرنا في حقيقة الكنيسة وحقيقة جسد المسيح. والصلة بين الكنيسة وجسد المسيح تبدو واضحة صارخة في سر المعمودية: «لأن كلَّكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح» (غل ٣ : ٢٧). ففي المعمودية يتسربل كل مؤمن بالمسيح شخصياً، بمعنى أن المسيح يصير فيه واهب الحياة الجديدة ونور المعرفة والحق. هذا هو الذي جعل القديس بولس يصرِّح ويقول: «فأحيا لا أنا، بل المسيح يحيا فيَّ» (غل ٢ : ٢٠). وعلى القارئ أن يُلاحِظ تركيز القديس بولس على كلمة "أنا"، إذ ينفي أن تكون هي منبع الحياة الجديدة، بل المسيح صار هو "الأنا" الكبرى فينا ـ الذي هو الإنسان الجديد ـ وكأن المسيحيين كخليقة جديدة لهم "أنا" واحد هو المسيح.

ولكي يستبعد بولس الرسول بفم الوحي الإلهي أي تصوير نظري أو شكلي للإنسان الجديد المخلوق على صورة المسيح ومن طبيعته، يقول: «لأننا أعضاء جسمه، من لحمه ومن عظامه» (أف ٥ : ٣٠). بهذا التأكيد والوضوح يستعلن لنا القديس بولس ماهية الإنسان الجديد المخلوق فينا بالمعمودية الذي هو بعينه أساس الكنيسة.

ولكي يزداد القارئ ثقة واطمئناناً أنه حقاً من لحم المسيح ومن عظامه، الذي

هو جسد المسيح المُقام من الموت، فلنَعُدْ إلى القيامة والعليّة وكيف دخلها المسيح والأبواب مغلقة ووقف في الوسط! ولما ارتاع التلاميذ وحسبوه روحاً، راجعهم بشدة أنه هو هو مسيح الصليب بجسده ولحمه وعظامه وجروحه فيه، قائلاً: «جسُّوني وانظروا، فإن الروح ليس له **لحم وعظام كما تَرَوْنَ لي**.» (لو ٢٤:٣٩)

إذن، فقيامة المسيح كانت بجسده، بلحمه وعظامه، إنما في حالة تجلٍّ فائق لا تُرى بالعين أو تحس باليد، إلاَّ إذا شاء الرب وأعلن نفسه بأن يُخفِّض من درجة شفافيته، وبآنٍ واحد، يرفع من قدرة الرؤية الاستعلانية في حواس التلاميذ، فيرَوْنه على حقيقته الروحية ويلمسونه فيؤمنون.

بهذا المعنى الواقعي المجدَّد والمؤكَّد، نحن جُبلنا في المعمودية جُبلة جديدة روحانية من لحم المسيح ومن عظامه وفي حالة ممجَّدة وتجلٍّ فائق لا يُرى بالعين أو يُلمس باليد، فهو جسد حقيقي روحاني جوَّاني غير منظور ولا محسوس. فحينما قال القديس بولس: «لأننا أعضاء جسمه، من لحمه ومن عظامه»، فهو يتكلَّم عن خليقتنا الجديدة في المعمودية التي أعطتنا عضوية حقيقية غير منظورة في جسده غير المنظور القائم من بين الأموات بنفس الروح والتجلِّي. هذه حقائق روحية مجيدة تحتاج لوعي عميق.

انظروا، أيها الإخوة، المصدر الجديد لجبلتنا الجديدة الروحانية التي أعطتنا حالة شركة قوية فعَّالة، إنما غير منظورة في المسيح، وأصبحنا حقاً وفعلاً أعضاء جسمه، من لحمه ومن عظامه. وليت القارئ يلتفت إلى عمق ودقة القول، فبولس الرسول لا يقول: "أعضاء **في** جسمه"، بل «**أعضاء** جسمه». والمعنى هنا خطير، إذ يقصر جسم المسيح علينا فقط ويحدِّد أعضاء جسمه بنا فقط!

فهنا تمثيل المسيح شمولي، فالقول إننا «**أعضاء جسمه**»، ينطبق تمام الانطباق على قول بولس الرسول: "**نحن جسده**"! هذا قول قاطع مانع يجمعنا في المسيح

في اتحاد ووحدة كيانية غير منظورة.

كما لاحظنا في قول الوحي على لسان القديس بولس بالنسبة للمسيح والكنيسة قوله: «لكي **يُحْضِرها لنفسه** كنيسة مجيدة». وللحال طار ذهننا إلى ذات القول من فم الله بالنسبة لحواء الأولى هكذا: «فأوقع الرب الإله سُباتاً على آدم فنام. فأخذ واحدة من أضلاعه وملأ مكانها لحماً. وبنى الرب الإله الضِّلع التي أخذها من آدم امرأة، **وأحضرها إلى آدم**. فقال آدم: هذه الآن **عظمٌ من عظامي ولحمٌ من لحمي**.» (تك ٢: ٢١-٢٣)

هكذا كما كانت حواء الأولى من عظم آدم ولحمه، خلقها الله من جسم آدم وأحضرها له ليكونا واحداً؛ هكذا، وبالمثل وبمنتهى الدقة والترتيب، أوقع الله المسيحَ في سُبات القبر والموت يوم السبت وجسدنا فيه، وقد مات وأكمل العقوبة، وقام المسيح وجسدنا فيه لملء الحياة المُقامة والمجيدة. وهكذا أخذنا إنساننا الجديد منه، من لحمه ومن عظامه. فأخذه المسيح وغسله بالمعمودية وطهَّره وقدَّسه، وأحضره لنفسه كنيسة مجيدة، واتَّحد به كعريس وعروس.

وهكذا تهيَّأت البشرية الجديدة أن تُزفَّ إلى عريسها السمائي كخليقة روحانية مبرَّرة تُفرِح قلب الله. وإذ صرنا من لحم وعظام المسيح القائم من بين الأموات جسداً روحياً فيه روح القيامة باستعدادٍ للانطلاق إلى المجد، لهذا فالمسيح هو آدم الثاني الجديد أبو الخليقة الجديدة، ونحن خليقته «مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة، قد سبق الله فأعدَّها لكي نسلك فيها.» (أف ٢: ١٠)

فنحن الآن نحمل صورة المسيح المُقام في جسدنا الجديد، ليس من جهة الشكل، ولكن من جهة طبيعة القداسة والبر: «وتلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب (like بشبه) الله في البر وقداسة الحق» (أف ٤: ٢٤). وواضح أن هذه الصفات طبيعية وهي ذات الطبيعة التي قام بها المسيح من بين الأموات

لحسابنا، وهي طبيعة عديمة الموت والفساد، ولا يمكن أن تخطئ لأنها انفصلت نهائياً عن طبيعة الناموس والتراب، وهي الطبيعة التي تؤهِّلنا الآن للحياة الأبدية التي نعيش عربونها الآن بالاتحاد بالمسيح روحياً إلى أن يحين انطلاقها بعد أن يسقط عنها الجسد العتيق الترابي. وبولس الرسول يصف بصورة زاهية نوع وعمق العلاقة التي تربطنا الآن بالمسيح هكذا:

+ «فإنه فيه (في المسيح) يحلُّ كل ملء اللاهوت جسدياً. (١) **وأنتم مملوؤون فيه**، الذي هو رأس كل رياسة وسلطان. (٢) **وبه أيضاً خُتِنتُم ختاناً غير مصنوع بيدٍ**، بخَلْع جسم خطايا البشرية، بختان المسيح. مدفونين معه في المعمودية، (٣) **التي فيها أُقِمْتُم أيضاً معه**، بإيمان عمل الله، الذي أقامه من الأموات. وإذ كنتم أمواتاً في الخطايا وغَلَف جسدكم، أحياكم معه، (٤) **مسامحاً لكم بجميع الخطايا**.» (كو ٢: ٩-١٣)

(١) **«وأنتم مملوؤون فيه»:**

هذه هي طبيعة الإنسان الجديد، لها ملء جسد المسيح المملوء لاهوتياً. فعِوَض أنْ كنا مملوئين خطيةً وغشًّا وإثماً وشهوات العالم، أصبحنا مملوئين روحياً فيما هو للمسيح. هذه هي القيمة العالية جداً للميلاد الجديد من الماء والروح الذي جعلنا نمتلئ بملء المسيح ابن الله، بطبيعة منتسبة إلى الله لها السماء موطناً. وهكذا ابتعدنا نهائياً عن الطبيعة الترابية.

(٢) **«وبه أيضاً خُتِنتُم ختاناً غير مصنوع بيدٍ»:**

هنا الكلام منصبٌّ على كيفية تخلُّص المسيح من جسد الإنسان العتيق بالموت، إذ يوصف بأنه خلعه خلعاً ليسلِّم لنا قيامته كإنسان جديد قد خلع عنه الجسد العتيق بخطاياه، وذلك بعد أن أكمل عقوبة الموت به. وقد وصفه القديس بولس في مكان آخر أنه أماته، أي أمات الجسد العتيق بخطاياه فيه:

+ «وإن كان المسيحُ فيكم، فالجسد (العتيق) ميِّت بسبب الخطية (أي أخذ

حكم الموت وانتهى فيه)، وأما الروح (وهو تعبير عن الجسد الروحاني الجديد) فحياة بسبب البر (أي أخذ برَّ المسيح الذي حصل عليه بقيامته).» (رو ٨: ١٠)

وقد اعتبر بولس الرسول أن تخلُّص المسيح من الجسد العتيق بموته وقيامته كان بمثابة ختانة حقيقية غير مصنوعة بيد، وهو تشبيه في غاية الإبداع. فنحن ـ بناءً عليه ـ مختونون في المسيح، بمعنى انقطع عنّا الجسد العتيق قطعاً سرِّياً بالنعمة، وهذه هي حقيقة الطهارة في العهد الجديد. فعندما نسمع عن التطهير في العهد الجديد فهو يعني التخلُّص من أعمال الجسد العتيق:

+ «فكم بالحري يكون دم المسيح، الذي بروح أزلي قدَّم نفسه لله بلا عيب، يطهِّر ضمائركم من أعمال ميِّتة (أعمال الجسد العتيق الميت) لتخدموا الله الحي.» (عب ٩: ١٤)

(٣) «التي فيها أُقمتم أيضاً معه»:

واضح أننا تقابلنا واتَّحدنا بموت المسيح في سر المعمودية بالدفن في الماء ثم أقامنا معه بإنسان جديد قد خُلِع عنه جسم خطايا البشرية في الإنسان العتيق، وذلك بإيمان عمل الله الذي أقام المسيح من بين الأموات لأجلنا.

(٤) «مُسامحاً لكم بجميع الخطايا»:

لأننا لَمَّا دخلنا معه في عهد المعمودية لنوال الخليقة الجديدة على أساس إيماننا الوثيق بموته وقيامته من أجلنا، أعطانا سر قيامته في إنساننا الجديد، وقد سامحنا بجميع الخطايا المنسوبة للإنسان العتيق الذي أكمل فيه العقوبة بالموت ومحا كل خطاياه. وهكذا مُحِيَت خطايانا إلى الأبد من حسابنا، لأن أعمال الله بلا ندامة.

انظروا، أيها الإخوة، فالمسيح بنفسه وعَبْرَ آلامه وجروحه وصليبه وموته هو الذي خلع عنَّا الجسد العتيق مع خطيته وحُكْمَ الموت الصادر ضده وجميع

أعماله، ودفنها بعيداً عنّا في قبر الماضي الذي لا يعود، وأقامنا معه، سواء حينما قام من الموت أو عندما أقامنا بعد الدفن في ماء المعمودية لعمل سر الخلق الجديد الذي له. الأول على الصليب على مستوى الفعل المنظور الرهيب، والآخر في الماء بسر الخلق الجديد المهيب.

لقد عَبَرَ بنا المسيح الموت والجحيم والهاوية وأخرجنا معه بقوة ومجد عظيمَيْن، كان يستحيل علينا إذا دخلنا الموت أن نخرج من عقاله، وكان من المستحيل إذا دخلنا الفساد أن نخلص منه لأن عبوديتنا تحت الخطية والموت حُكْمٌ لا رجعة فيه.

أخذ المسيح جسدنا أولاً من العذراء ومن الروح القدس طاهراً قدوساً، ولكن كان يتحتّم لكي يموت أن يحمل خطايانا في جسده على الخشبة، الأمر الذي أرعبه رعبة أشد من هول الموت. فقد نازع أباه إن أمكن أن يجيز عنه هذه الكأس، كأس خطايا البشرية ليشربها. وهناك فرق هائل بين كأس خطايا البشرية وكأس الموت. فأما كأس الموت، فقد جاء ليشربه عن رضى؛ أما كأس خطايا البشرية فكيف يشربه ويقف قدَّام أبيه كالعاصي والمجدِّف والزاني والشرير؟ كيف والعلاقة التي تربطه بالآب لا تسمح، فهي علاقة قداسة وحب مطلق في بنوَّة غير منفصلة؟ هنا أقصى مضادة تفوق قامة كل حكمة، لم يحلّها إلاّ أن يستسلم الابن لمشيئة أبيه لأنه أراد!!!

وهكذا انتهى الابن الوحيد في نزاعه في جثسيماني مع أبيه بقوله: "لتكن مشيئتك لا مشيئتي". حيث إن مشيئة الآب أن يلبس الابن عار البشرية ويحمل كل خطايانا، والآب راضٍ حتى وإن مسَّته في شيء!! هذه الفدية تبلغ أقصى خطورتها، والفادي ـ وهو الله ـ يشترك مع الفدية بشيء!

بهذه النية تقدَّم المسيح إلى رؤساء الكهنة وتحمَّل المهانة والمساءلة والحكم أنه

مجدِّف، فقَبِلَ دون مناقشة. ولما أحالوه لبيلاطس أُضيف إلى الاتهامات أنه صانع شر ومُضل الأمة وناقض الناموس والهيكل، فقَبِلَ ولم يُدافع، وصَدَر الحكم وسيق إلى الصليب وهو حامل كل الاتهامات محقّقة وثابتة، وصعد إلى خشبة العار ليحمل مع كل الخطايا لعنة الصليب كمجرم منبوذ. بهذا قيل إنه حَمَلَ خطايانا! وقَبِلَ الموت بإرادته كعقوبة ثبتت عليه بناءً على خطايا تحمَّلها كلها كخاطئ. والخطية خطيتنا والعار عارنا والموت عقوبتنا!!

وعندما قام من بين الأموات بعد أن أكمل العقوبة التي استحقها الإنسان، أقامنا معه في جسد قيامته وقد سقطت عنه كل خطايا الإنسان العتيق مع موته، وسلّمنا جسد قيامته في المعمودية بلا خطية ولا موت ولا لعنة، مبرَّرين ببر طاعته وقيامته. وهذا هو الفداء!!

لم يَمُتْ عنا بل مات ونحن فيه، إذ مات بجسد بشريتنا وعليه خطايانا، أي مات حاملاً جسدنا العتيق في نفسه. فإن كان قد أخذ موتنا على نفسه فحباً وكرامة وطاعة لأبيه. لذلك فقد مات لأجلنا وقام لأجلنا ليهبنا قوة موته لإلغاء الخطية والموت، ويهبنا قوة حياته في القيامة من بين الأموات. وهذا هو الفداء!!

فدانا من الموت بموته، ونجّانا من الفساد بقيامته. رفع عنّا العار واللعنة بارتفاعه على الخشبة، ليكمل معنا كل العقوبة التي فُرضت علينا التي أخذها في جسده وألغاها بقوة قداسته وارتفاع لاهوته وعمق بنوَّته، فقام بذراع قوية وبمجد وانتصار. وهذا هو الفداء.

فلولا موته معنا لابتلعنا الموت إلى الأبد ولا نجاة. ولولا قيامته لافترسنا الفساد ولا رجاء. ولولا جبروت لاهوته لأطبقت علينا الهاوية ونزلنا إلى الجحيم ولا صعود. وهذا هو الفداء.

دفع ثمن خطايانا بجلد الظهر بالسياط ولطم الوجه والبصاق وضرب الرأس

وغرس الأشواك، هُزْءٌ وراء هُزْءٍ، وامتهان واحتقار وافتضاح. وهكذا أكمل تأدينا عليه! لنفوز نحن بغفران الخطايا. وذاق غصَّة الموت لنذوق نحن نُصرة الحياة. وهذا هو الفداء.

كنَّا تحت الغضب الإلهي بسبب العصيان، ولم يكن مَنْ يُصالح حتى جاء الابن الوحيد ولَبِسَ عصياننا كالثوب ودخل المحاكمة وهو عالم بفداحة الثمن المدفوع. ولَمَّا ارتفع المسيح على الصليب احتجب عنه وجه الآب، فذاق مرارة الغضب الإلهي ولم يحتمل فصرخ: «إلهي إلهي لماذا تركتني» (مت ٢٧:٤٦). وكانت الصرخة هي صرختنا، إذ دخلت البشرية لحظتها في ظلمة المحاق، نطقها المسيح بلساننا ليُعلن أن القضاء قد تمَّ واقتبل المسيح معنا الغضب الإلهي، فسُمع له من أجل تقواه ولطاعته حتى الموت كذبيح، ولولا أنه الابن الوحيد ما خرجنا من تحت الغضب الإلهي إلى الأبد. وهكذا حصل لنا المسيح على المصالحة بعد دفع الثمن عاراً ورعبة ودماً، وبالنهاية أدخلنا تحت التدبير كبنين. وهذا هو الفداء.

والآن، هل عرفت، أيها القارئ العزيز، كم كلَّف الله والمسيح هذا الإنسان الجديد الذي هو بمثابة الخلقة الأخرى الروحية للإنسان التي جعلها على صورته، من طبيعة جسد قيامته مخلوقة في البر وقداسة الحق، ليرث بها الحياة الأبدية مع الله؟

فإن كان ثمنها هو هكذا ـ حقيقةً ـ باهظاً للغاية، فلأنها خليقة فائقة في طبيعتها، مُؤَمَّن عليها من الموت والفساد، بل ومؤازرة بالنعمة ومؤيَّدة بالبر وقداسة المسيح. وهذه الطبيعة عينها التي للبشرية الجديدة أحبَّها المسيح نفسه، أحبَّها حبًّا يقول الكتاب عنه إنه حب عريس لعروس. ويكفي أننا علمنا أنها من لحمه ومن عظامه. هكذا صارت طبيعتنا الجديدة هي عينها جسد المسيح، هو لها الرأس بغير انفصال، وقد جلس بها عن يمين الآب الموضع الكريم الذي

اشتراه بدمه وأعدَّه لها بروحه لتحيا به أمام الله.

هذا هو خلاصة الإيمان المسيحي. قدَّمناه إليك لتدرك حقيقة مسيحيتك التي ورَّثتك هذه الخلقة الجديدة مجاناً، لا يفصلها عن الله لا خطية ولا موت ولا هاوية، لأنها تسلَّحت بنعمة القيامة من بين الأموات لتحيا بروح القيامة منتصرة، لها برّها الخاص الذي ورثته من قيامة المسيح مجاناً!!

فإن كان يطغى الجسد العتيق عليك بلا وجه حق ويُحزن نفسك بسبب ضعف أو خطية، فانتبه! هذا تزييف من الشيطان، لأن الجسد العتيق ميِّت وأعماله ميِّتة، وهي كلها واقعة ومحصورة تحت الاعتراف بها أمام الله لتتلاشى في الحال. فخطايا الجسد العتيق لم يَعُدْ لها قوة وسلطان الخطايا الأولى، لأن جميع خطايانا دخلت تحت البراءة الرسمية بدم المسيح. فهي لن تنال من علاقتنا بالله والمسيح، ولن تؤثِّر في نصيبنا المحفوظ لنا في السماويَّات مهما كانت، إلاَّ إذا تنازلنا نحن بإرادتنا عن نصيبنا السماوي وازدرينا بالدم.

وعلى المؤمن المسيحي أن يُدرك موقفه الجديد من الله كخليقة جديدة مؤمَّن عليها من السقوط، غالبة الموت والخطية والهاوية. فلا يستهين بحقوقه، لأن الثمن المدفوع في فدائه تحمَّله الله بنفسه ولا يستطيع شيء في الأرض ولا في السماء أن يخطفه من يد الله والمسيح.

ارفع رأسك أيها الإنسان المسيحي، فأنت بواقعك الجديد كمؤمن اعتَمَدَ وقَبِلَ الفداء صرتَ أعلى من الموت، أعلى من الخطية، أعلى من الهاوية، وأعلى من هذا العالم. وليست قوة في الوجود بمستطيعة أن تفصلك عن محبة المسيح الذي أحبك واشتراك بدمه.

ولكن يتبقَّى أن يتعرَّف الإنسان المسيحي على الفداء معرفة ذاتية واقعية من خبرته وحياته. فالفداء سيبقى منطوقاً إيمانياً وحسب، والإنسان الجديد كحقيقة

تمَّت وكملت لنا من واقع الطقس والإيمان وحسب؛ إلى أن يتقبَّل الإنسان حقيقة المسيح المصلوب القائم من بين الأموات في صميم حياته ويحدث التغيير، فإذا أحسَّ الإنسان بالتغيير في حياته واضحاً يكون هذا هو الفداء!!

فالفداء عمل قام به المسيح ليستقر بالنهاية في دخوله شخصياً في حياة الإنسان، ليبدأ به الإنسان حياته في المسيح، ويذوق فيه كل خبرات الإنجيل، ويتطلَّع بثقة إلى مستقبله السعيد.

وكل ما تقبَّلته من المسيح واستقرَّ في حياتك الجديدة، مع الحب الذي تشعر به نحوه، وكل التغييرات التي جزتها منذ أن تعرَّفت عليه، والمبادئ التي صرت تتمسك بها وتعيش عليها، مع الفرح والسلام؛ فهذا هو إنسانك الجديد. وبمنتهى الاختصار، فإنسانك الجديد هو صاحب هذا التغيير الذي تمَّ في داخلك.

أما علاقة الفداء بالخلاص فقد أوضحها القديس بولس في هذه الآية:

+ «إن اعترفتَ بفمك بالرب يسوع، وآمنتَ بقلبك أن الله أقامه من الأموات، خَلَصْتَ. لأن القلب يُؤْمَن به للبر، والفم يُعْتَرَف به للخلاص.» (رو ١٠: ٩و١٠)

هنا واضح أن الإيمان بالقلب هو عمل الإنسان الجديد، حيث يكون الإيمان من واقع الاتحاد، فالإيمان بقيامة الرب يسوع من بين الأموات هو الإيمان بعمل بر الفداء. **فعندما يقبل الإنسان الجديد بر الفداء بالإيمان، يكمل له الخلاص من الإنسان العتيق وأعماله** والغضب الواقع عليه. فالإيمان ونوال بر الفداء يأتي أولاً وفي القلب، والاعتراف بالخلاص يأتي بعد ذلك بالفم للشهادة، كنتيجة للفداء.

(يناير ١٩٩٧)

الإفخارستيا والإنسان الجديد

□✞❖✞□

لقد كشف المسيح بكل وضوح عن طعام جديد روحاني يتعاطاه الإنسان الجديد المخلوق على صورة الله «في البر وقداسة الحق» (أف ٤ :٢٤)، ليحيا به وتدوم حياته إلى الأبد، عِوَض الطعام المادي الذي يتعاطاه الإنسان العتيق ويموت. وقد أوضح المسيح ذلك في قوله:

+ «١. الحق الحق أقول لكم: مَنْ يؤمن بي فله حياة أبدية.

٢. أنا هو خبز الحياة. آباؤكم أكلوا المَنَّ في البرية وماتوا. هذا هو الخبز النازل من السماء، لكي يأكل منه الإنسان ولا يموت. أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء. إنْ أكل أحدٌ من هذا الخبز يحيا إلى الأبد.

٣. والخبز الذي أنا أُعطي هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم.» (يو ٦ :٤٧–٥١)

يتدرَّج المسيح في هذا القول بذِكْر الحقائق الآتية:

١ – إنَّ مَنْ يؤمن بالمسيح، ينال الحياة الأبدية، الذي يشرحه إنجيل القديس يوحنا في موضع آخر بقوله: «الحق الحق أقول لكم: إنَّ مَنْ يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية، ولا يأتي إلى دينونة، بل قد انتقل من الموت إلى الحياة» (يو ٥ :٢٤). وهذا في الحقيقة هو حال الإنسان الجديد الذي سمع خبر البشارة، وآمن واعتمد للمسيح، ويكون هو الذي وُلِد ثانية من فوق ومن الماء والروح، وصار مهيَّأً لدخول ملكوت الله حسب كلام المسيح لنيقوديموس: «الحق الحق أقول لك: إن كان أحد

لا يُولَد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله. المولود من الجسد جسد هو، والمولود من الروح هو روح.» (يو ٣:٥و٦)

٢ ـ يعود هنا المسيح ويقدِّم نفسه باعتباره الخبز الحي الجديد الذي نزل من السماء لكي يأكل منه الإنسان ولا يموت بعد، بل يحيا إلى الأبد حتى وإنْ مات بالجسد. وواضح هنا أن الذي يغتذي بالمسيح هو الإنسان الجديد المخلوق جديداً "من فوق" و"من الماء والروح"، الذي خلقه المسيح في نفسه بقيامته من بين الأموات، ونلناه بالإيمان والمعمودية.

٣ ـ عاد المسيح وحدَّد بوضوح شديد كيف سيُعطي نفسه خبزاً ليأكل منه الإنسان الجديد ليحيا إلى الأبد بأن حدَّد أن الطعام الروحي للإنسان الجديد سيكون جسده الذي يبذله عن حياة العالم. وهنا يدخل المعنى في تصوير مستيكي أي سرِّي شديد الشفافية، بمعنى أن المسيح سيُقدِّم جسده على الصليب ذبيحة حيَّة مقدَّسة للآب عن خلاص العالم. وهذه الذبيحة الحيَّة المقدسة لكي يتم عملها في الإنسان، بإعطاء الخلاص والغفران والحياة والبر، يتحتَّم أن يأكل منها الإنسان لكي يكون شريكاً في فعلها الإلهي السرِّي الفائق. ولكي يُعطي المسيح لكل إنسان الفرصة والحق ليأكل منها في كل مكان وإلى مدى جميع الأزمان، قام يوم الخميس المبارَك برسم طقس ذبح الجسد على العشاء الفصحي مع تلاميذه بأن أخذ خبزاً عادياً وشكر وبارك وكسر، وأعطى لتلاميذه برسم الجسد المكسور على الصليب يوم الجمعة قائلاً بسر رهيب: "هذا هو جسدي المكسور من أجلكم (على الصليب)، خذوا كلوا منه كلكم". ثم عاد وأخذ الكأس الرابع في طقس عشاء الفصح الممزوج خمراً وماءً، وشكر وبارك وأعطاه لتلاميذه قائلاً: "هذا هو دمي المسفوك من أجلكم (على الصليب)، اشربوا منه كلكم".

وهكذا حقّق المسيح، بالفعل الإلهي السرِّي في الخبز والخمر، الوجود المستيكي الإلهي للجسد الحقيقي المذبوح على الصليب والدم المسفوك عليه.

وهكذا حقّق المسيح بالفعل الإلهي السرِّي ذبيحته الفصحية بجسده بواسطة الخبز والخمر. حتى أن كل مَنْ أكل من هذا الخبز الفصحي السرِّي وهذا الخمر الفصحي السرِّي، يكون قد أكل بالفعل السرِّي المسيح نفسه في حالة الذبيحة الفصحية التي قدَّمها للآب لمغفرة الخطايا وحياة أبدية لكل مَنْ يتناول منه.

ثم عاد المسيح ليوثِّق هذا الأكل والشرب الفصحي من جسده ودمه كعهدٍ أبدي معنا، فقال باختصار ووضوح: «مَنْ يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية، وأنا أُقيمه في اليوم الأخير» (يو ٦: ٥٤). ولكي يرفع عن ظنِّ الإنسان أنه يأكل خبزاً ساذجاً وخمراً ممزوجاً ساذجاً، عاد فأكَّد: «لأن جسدي مأكلٌ حقٌّ ودمي مشربٌ حقٌّ» (يو ٦: ٥٥). والمعنى هنا عميق، إذ يفرِّق المسيح بين أكل الخبز الساذج وشرب الخمر الساذج، وبين أكل الجسد الإلهي وشرب الدم الإلهي. فهنا الخبز الفصحي المتحوِّل إلى جسد المسيح الذي استودع فيه المسيح قوة وحياة جسد الكلمة المُحيي، لم يَعُدْ أكلاً ساذجاً يأكله الإنسان بالجسد ويموت، بل مأكلا حقًّا. و"الحق" هو ما لا يتغيَّر ولا يزول، والله وحده هو الذي لا يتغيَّر ولا يزول، بمعنى أن الذي يأكل الجسد ويشرب الدم الكائن بالقوة الإلهية في سرِّ الخبز المكسور والخمر الممزوج إنما "يأكل الحق" و"يشرب الحق"، وهو أعمق تعبير سرِّي عن استيعاب لاهوت المسيح الكائن في الجسد والدم الفصحي العامل لغفران الخطايا والحياة الأبدية، الذي عبَّر عنه المسيح بعد ذلك تعبيراً مُبدِعاً بقوله: «مَنْ يأكلني فهو يحيا بي» (٦: ٥٧)، الذي في صميم معناه قال بولس الرسول: «لا أحيا أنا، بل المسيح يحيا فيَّ.» (غل ٢: ٢٠)

وهكذا أعطى المسيح عهداً أبدياً موثّقاً أن كل مَنْ يأكل من الخبز المكسور

الفصحي والخمر الممزوج الفصحي، الذي نعبِّر عنه بسرِّ الإفخارستيا، يكون قد أكل المسيح بحال ذبيحة فصحية على الصليب، الذي صار ضميناً لخلاص الإنسان غفراناً وحياةً أبدية. لذلك يسمَّى خميس الفصح بـ "خميس العهد"، وهو العهد الجديد كقول المسيح العلني: "كذلك الكأس أيضاً بعد العشاء قائلاً: **هذه الكأس هي العهد الجديد** بدمي الذي يُسفك من أجلكم." (لو ٢٢ : ٢٠)

كما أعطى المسيح استعلاناً جديداً لفاعلية الأكل من الجسد والشرب من الدم الفصحي بقوله: «مَنْ يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيَّ وأنا فيه» (يو ٦ : ٥٦). هذا الثبوت المتبادَل بالفعل السرِّي مع المسيح بواسطة الاشتراك في الجسد والدم، هو ما يُعبَّر عنه لاهوتياً بالاتحاد السرِّي. الذي عبَّر عنه القديس يوحنا في رسالته الأولى هكذا: «أما شركتنا نحن فهي مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح» (١يو ١ : ٣). كما عبَّر عنه المسيح بقوله: «أنتم فيَّ، وأنا فيكم» (يو ١٤ : ٢٠)، وقوله: «ليكون الجميع واحداً، كما أنك أنت أيها الآب فيَّ وأنا فيك، ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا...» (يو ١٧ : ٢١)، «أنا فيهم وأنت فيَّ ليكونوا مكمَّلين إلى واحد.» (يو ١٧ : ٢٣)

بهذا ندرك أن الطعام الجديد الروحي الذي أحدره لنا المسيح من السماء كخبز حي إلهي، وهو جسده ليُطعم به الإنسان الجديد ليحيا وتدوم حياته إلى الأبد؛ هو جوهر العهد الجديد. فنحن الذين أكلنا الجسد وشربنا الدم، دخلنا في صميم العهد الجديد وجوهره الذي صنعه الله الآب معنا بدم ابنه الوحيد الذي شربناه من يده، فتغلغل الابن في أحشائنا ودخلنا نحن في عمق أعماقه وصرنا في وحدة أمام عين الآب أهَّلتنا للبنوَّة وميراث الابن الوحيد.

فالإفخارستيا ـ طعام الحق هذا ـ للإنسان الجديد، قد رفعته من الأرض إلى السماء، ومن حال الخلقة الترابية التي تدبُّ على الأرض كإحدى الدبابات إلى

وجود سمائي وكيان روحاني يتراءى أمام الله في حالٍ من البر والقداسة لمدح مجد نعمته التي أنعم بها علينا في المحبوب، وهذا كله كان حسب مسرَّة مشيئة الآب.

غير أن في المعمودية يخرج الإنسان الجديد بمفرده حاملاً المسيح فيه حسب قول بولس الرسول: «لأنكم جميعاً أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع. لأن كلّكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح» (غل ٣:٢٦)، «وتلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق» (أف ٤:٢٤). أما في سر الإفخارستيا فيخرج المؤمنون متّحدين في شركة معاً ومع المسيح: «كأس البركة التي نُبارِكها، أليست هي شركة دم المسيح؟ الخبز الذي نكسره، أليس هو شركة جسد المسيح؟ فإننا نحن الكثيرين خبز واحد، جسد واحد، لأننا جميعنا نشترك في الخبز الواحد» (١كو ١٠:١٦و١٧)

لهذا يُقال للمؤمن إنه عضو واحد متميِّز في جسد المسيح حسب موهبة الروح التي أخذها من الله ليخدم بها الجسد. ولكن يُقال عن المؤمنين معاً إنهم جسد المسيح الواحد أي كنيسته.

كذلك فإنسان المعمودية الجديد من فوق، هو روح ثابت لا يتغيَّر ولا يزول، على صورة خالقه. أما الإفخارستيا فهي سرُّ التجديد الدائم للإنسان، يتجدَّد فينا بقدر ما يَفْنَى الخارج يوماً فيوماً، حيث يتغيَّر الإنسان إلى صورة خالقه في المجد من مجدٍ إلى مجدٍ كما من الرب الروح، كلما أكلنا الجسد وشربنا الدم ودخلنا مجدَّداً في سرِّ الشركة مع المسيح وسلكنا بالروح.

(يونية ١٩٩٧)

الإنسان الجديد

الطريق إليه والتعامل معه

□✞●✞□

صحوة على الطريق:

ربي، كيف تهتُ عنك هذه السنين كلها وأنت تحيا فيَّ، في إنساني الذي وهبتني!

كيف كنتُ أعيش موتي، فالبعد عنك ألا يكون هو البعد عن الحياة؟

لقد عشتُ موتي غير عالم أن الحياة فيَّ، ينبض بها قلبي في إنساني الذي وَهبتَ.

أسلمتُ فكري للناس وأمور الدنيا، فانحجب وعيي عن المسيح الذي في قلبي. وما فهمتُ قولك: «يا ابني أعْطِني قلبَك، ولْتُلاحِظْ عيناك طُرُقي.» (أم ٢٣:٢٦)

حتى أدركتُ أن هنا في قلبي يسطع نور وجهك عليَّ في إنساني الذي وَهبتَ!

فإن كان موسى قد وجدها قمة المنتهى أن يسير وجهك أمامه، فيا لنصيبنا الذي لا يُحدُّ، أن يستقر وجهك في كياننا ويضيء علينا!

قلتَ: «مَنْ كان حيًّا وآمن بي، فلن يموت إلى الأبد» (يو ١١:٢٦)، فأدركتُ أنك أنت الحياة فيَّ، وها أنا بك أحيا فكيف يأتيني الموت؟

وإن أتاني الموت، فسأبقى كما أنا حيًّا بك، فماذا للموت فيَّ؟

إنساني الذي وهَبتَ الذي خلقته لي يوم قيامتك، واستودعته قلبي يوم

أن اعتمدتُ؛ أدركتُ فيه قيامتي، وتسمَّعتُ في نبضاته نبضات قلبك، وتعرَّفتُ فيه على نور وجهك.
فمَنْ ذا بقادرٍ أن يفصلني عنك؟ مَنْ ذا الذي يستطيع أن يخلع قلبك من قلبي، أو يُطفئ نور وجهك عن وجهي، أو يفكَّ حياتك من حياتي؟
إن اقترب الموت مني، فسأسخر منه، لأني أمسكتُ بالحياة الأبدية لَمَّا أمسكتَ أنت بي.
وإن استطاع الموت أن يُفني الخارج فيَّ، فبالداخل وطأتُه يوم وطأتَه أنت بقدميك.
وإن طالني الفناء وأحنى ظهري الزمن، فقيامتك رفعتْ رأسي وطالت روحي الأبد.
فإن كنتُ أحمل إنساني الجديد في قلبي، فالمسيح أصبح يحملني!

كيف أتعامل مع إنساني الجديد؟

أي كيف أتعلَّم أن أكون كاملاً كقول الرب لإبراهيم أول ما قال: «سِرْ أمامي وكُنْ كاملاً» (تك ١٧: ١). فهذه هي أول وصايا الله وفرائضه! وأول ما ينبغي أن يسمعه الإنسان ويطيعه، لأن في ذلك حياته! فإذا ما بدأ الإنسان أن يتغيَّر عن ماضي حماقاته ونزق صباه، ويكفّ عن أعمال الصغار، ويبدأ يتعلَّم كيف يتكلَّم برزانة، ويفكر ويدبِّر بحكمة لتصبح آراؤه سديدة وأعماله حكيمة، وكان في سعيه جادًّا بعزيمة ونيَّة مستقيمة تعاهدتْ مع الله أن لا تنظر إلى الوراء؛ يبدأ يحس الإنسان أن هناك قوة علوية تعينه وتشجِّعه وتدفعه إلى الأمام وإلى فوق، فيظن أن السماء ارتضت أن تكون له معيناً.

ولكن الحقيقة المذهلة، أن المعونة والقوة إنما هي آتية من الداخل، من القلب، من الإنسان الجديد الذي وجد في السعي إليه فرصة أن يُعلن عن ذاته وعن المسيح الذي فيه. وعندما يرى القوم ما آل إليه حال الإنسان من الترقّي

والرزانة ظنوه ونعتوه أنه إعلاء للذات، وإن بهرتهم حكمة الإنسان سَموه "السوبرمان". ولكن الحقيقة أن الإنسان لا يعدو أن يكون قد عثر على ذاته، ذاته المخلوقة بحسب الله في البر وقداسة الحق، وبدأت تنضح بمواهبها على الإنسان العتيق، فأضفت عليه مسحة ممَّا هو ليس في طبيعة الإنسان!

فمواهب الإنسان الجديد المتأصِّلة في خلقته كلها سماوية، فإن أُعطي لها أن توجد وتعمل فهي لا محالة رافعة الإنسان لِمَا هو فوق طبيعة الإنسان.

وهي بذاتها قوة قادرة أن تردع الإنسان العتيق ليأخذ طريقه إلى الوراء، عن إرغام، ليوسِّع المكان للإنسان الجديد كي يمارِس حقَّه في الإعلان عن الروح الذي فيه. وبانحصار الإنسان العتيق في أضيق حدود حركته ورجوعه إلى الوراء تخمد شهواته وتتوارى حماقاته، ويصبح تراجعها واضحاً للإنسان والعيان، يشهد لبدء عمل الإنسان الجديد لحساب الله والخلود.

وقد يأتي هذا التحوُّل للإنسان بجهد كثير ومعاناة ومحاولات يسندها الصبر والعناد، وصلوات ذات صراخ ودموع وعنف وآلام وكآبة وحزن كثير، فهي عملية المخاض المزدوجة القوة: فهي مخاض الموت للقديم بتشبُّثه المستميت في المقاومة، ومخاض ميلاد الجديد الذي يحمل نقلة كبرى يتحمَّلها الإنسان بصعوبة لأنه يولَد على صورة خالقه في البر وقداسة الحق. ولكن القوة الدافعة لطرد القديم، والقوة الجاذبة لإخراج الجديد، تفوق قدرات الإنسان حيث يعمل الإنسان ضد نفسه وكأنه يميت ذاته. فلولا كفاءة الإنسان الجديد المخلوق حقًّا على صورة خالقه لتعسَّر الميلاد أو استحال. ولكن الله خلقه ليحيا ويسود ولا يحجزه عن حق الحياة حاجز. فقوة حياة الإنسان الجديد تجرف أمامها أعمال العتيق بنصرة وجبروت يحسُّها الإنسان نفسه ويتعجَّب أين كان هذا السند ولماذا هكذا توارى؟ وكأنه كان أسيراً تحت قيود. ويبتدئ يحس الإنسان

ويتسمَّع صدى صوتٍ يناديه من أعماقه وكأن في داخله مَنْ يدعوه للعبور.

ولكن قد يأتي أيضاً هذا التحوُّل كما اختبره كثيرون ليس بعد جهد أو عناء، ولكن مرَّة واحدة، وكأنها صحوة من نوم عميق، حيث يكون الجسد الجديد قد قارَب المولد وصار ينتظر دفعة تأتيه بنعمة الله عند لحظة اشتعال الإيمان القلبي. فيقوم ويصير ظاهراً للناس وموضع سؤال وتعجُّب. ويُقال إن فلاناً تجدَّد أو تغيَّر، ويحسُّ هو في نفسه وشكله وجسمه وكأنه قد حدث له أمرٌ واضحٌ جديدٌ، فيتغيَّر صوته ولهجته وابتسامته، وفرحه الهادئ يملأ قلبه ووجهه وكيانه، وهدوءه يملأ حياته كلها؛ علامات تنطق أنه قد حدث فعلاً ميلادٌ جديدٌ بالروح، حيث تدخل الإنسانَ طاقاتٌ روحيةٌ جديدةٌ يظنها آتية إليه من فوق مع أنها نابعة من الداخل، من صميم خلقته وميراثه السماوي.

سمة واحدة للإنسان الجديد:

وسواء كان التحوُّل أو التجديد الذي يظهر به الإنسان ـ وقد صار إنساناً جديداً حقًّا ـ جاء بعد جهد وعناء وصلاة ومثابرة، أو جاء كانتفاضة قام بعدها الإنسان وقد تغيَّر كل شيء فيه، نجد أن أحوال وظروف الإنسان الجديد في النماذج المتعددة قريبة الشبه جداً بعضها مع بعض. فالإنسان الجديد في وضعه العام عند الجميع هو صورة روحية للمسيح أو بحسب التعبير الذي قاله بولس الرسول: الكل قد صار لابساً المسيح. فالبساطة والفرح والحكمة والإلهام والنعمة والوعي المفتوح والكلام الروحي ذو التأثير الإلهي في النفوس، يكاد يكون سمةً عامةً لكل الذين تعرَّفوا على إنسانهم الجديد وعاشوا به. وهذه شهادة صدق لحقيقة الميلاد الثاني من فوق التي فجَّرها المسيح في عالمنا، وأثبت بها أن مجيئه إلى العالم وتجسُّده والفداء الذي أكمله بآلامه وصليبه وذبيحة نفسه وموته وقيامته، إنما هي أصلاً وبصورة شاملة وكاملة ونهائية لخلقة الإنسان خلقة جديدة روحية من فوق، تمهيداً للنقلة الإلهية التي سيجوزها الإنسان ليحيا

في الحياة الأبدية مع الله للأبد.

وهكذا نرى ونشعر ونؤمن ونشهد بالخلقة الجديدة التي نلناها سرًّا في المعمودية، وكانت مختفية في القلب وكنّا نحن لاهين عنها إلى أن بلغنا إلى الحال الذي يؤهِّلنا لاستلامها، واستدعيناها فخرجت للوجود ليراها كل بشر ويشهد بحقيقتها.

وبهذه الخلقة الجديدة تُستعلن الكنيسة الحقيقية صاحبة هذه المواهب التي كانت مخفية، وقد أُظْهِرَت واستُعلِنَت في كل الذين حازوا نعمة استرداد خلقتهم الجديدة الروحية.

وإليك أيها القارئ العزيز دعوة أن تكون واحداً من هؤلاء الذين قد تزيَّنوا بالمسيح ليكونوا عروساً متجلِّية بمجد الابن.

عودٌ إلى القلب ومذّخراته الإلهية:

وبشيء من العمق الروحي الواعي، نرى في هذا القلب الجديد سر الباب الحقيقي وسر الطريق. ألم يَقل بولس الرسول: «لأن كلّكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح» (غل ٣:٢٧)؟ فإن كان المسيح قائماً حقًّا في الإنسان الجديد الروحاني، ففيه بكل يقين سر الباب وسر الطريق، وهكذا من داخل هذا الإنسان تتم حتماً المقابلة وتتم اللُّقيا ويتم الاتحاد والشركة: «ويكون فرحكم كاملاً» (١يو ١:٤)!! أليست هنا وفينا الحياة الأبدية بعينها؟ فإن كنّا قد حُزنا على حضرة المسيح ووجوده، فقد حُزنا على الحياة الأبدية والشركة مع الآب وابنه يسوع المسيح، وكمل فرحنا بحسب كرازة القديس يوحنا وشهادته، التي أكّد فيها أنه نال هذا بالفعل!

+ «فإنَّ الحياة أُظْهِرَتْ، وقد رأينا ونشهد ونخبركم بالحياة الأبدية التي كانت عند الآب وأُظْهِرَت لنا. الذي رأيناه وسمعناه (ولمسته أيدينا)

نُخبركم به، لكي يكون لكم أيضاً شركة معنا. وأما شركتنا نحن فهي مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح. ونكتب إليكم هذا لكي يكون فرحكم كاملاً.» (١يو ١:٢-٤)

وهنا يتحقَّق ويصدق ويتبارك جداً ربنا يسوع الذي قال: «ها ملكوت الله داخلكم.» (لو ١٧:٢١)

إذن، فليس بالفكر والدرس والاجتهاد نعثر على المسيح أو نجد الملكوت والحياة الأبدية. فهذه متاهة عشناها قروناً وآن الوقت لندرك أن المسيح فينا والحياة الأبدية كائنة في قلوبنا. فماذا نقول؟ نقول: عودة إلى القلب وحصر الإيمان والصلاة والرجاء في القلب، لأن في القلب يُستعلن لنا الإنسان الجديد، الخليقة الجديدة التي من فوق من السماء، وقد حازت حضور المسيح والروح والحياة الأبدية.

فالذي عثر على إنسانه الجديد فقد عثر على الفداء والخلاص والحياة الأبدية ونهاية كل شيء، ولمْ يَعُدْ يُعْوِزه شيء من أعمال الله. وها هو الله قد وضع في قلبنا سر الخلق الجديد بكل مواهبه وعطاياه. فيا للغنى ويا للمجد!

فلا تعد تلوم ولا تئن وتشكو، فالله لم يكن مقصِّراً أبداً معنا ولا تركنا نواجه الحياة بأجسادنا العتيقة وخلقتنا الترابية. فلم يكن الله ظالماً لكي يطالبنا بالسماويات وكل أدواتنا وأسلحتنا من التراب. لم يطالبنا الله أن نتعرَّف عليه ونؤمن به ونطيعه ونحبه بإمكانياتنا الترابية الفاسدة والعاجزة؛ ولا هو طالبنا بالصلاة الدائمة والسهر واليقظة، وأسلحتنا كلها ترابية مكسورة؛ ولا هو طالبنا بمحبة الإخوة من قلب طاهر بشدة أو محبة الأعداء، وكل ما نعرفه عن المحبة هو محبة الأجساد النابعة من الغرائز الحيوانية الترابية. ولكنه ـ وهذه شهادة حق ـ قد سبق ومنحنا في القلب خلقة إنسانية جديدة كل الجدة، ليست من تراب الأرض بعد، بل هي خلقة سماوية من ذات طبيعة جسد المسيح

القائم من بين الأموات الذي غلب به الخطية وداس الموت ودحر الشيطان، وارتفع به من الأرض وعالم الموت والفناء، وهي خلقة بها كل مواهب الروح وأسلحة النعمة وروح الصلاة والحب الإلهي الكامل وتواضع الطفولة.

إذن، فقد سلَّحنا المسيح بجسده وروحه ونصرته وحبِّه، واستودع هذه الخليقة في قلوبنا، وختم عليها إلى اليوم الذي نتعرَّف عليها فنحيا! وهكذا نجد أنه أعطانا أكثر مما يطالبنا به.

إذن، فنحن لسنا بعد غرباء عن الآب، ولم تَعُدْ السماء بعيدة والمسيح فينا، بل صارت موطناً لنا ينتظرنا بأكثر مما ننتظره، ونصيبنا فيه محفوظ مع الميراث.

لا تضيِّعوا العمر عبثاً!

ها هوذا الواقع يظهر أمامنا جليًّا. فالله لم يخلقنا لنعيش في هذا الجسد العتيق العاجز البائد نبكي على ماضينا وعلى وقتنا الضائع في مشاغل كاذبة وهمية، ونتألَّم من عجزنا وقصورنا وخطايانا الوهمية التي غُفرت، ونندب حظنا عندما نقرأ الإنجيل؛ فنجد هوَّة تفصلنا عن هذه المُثل العُليا وعجزاً يقعدنا عن أن نكمِّل وصاياه الكبيرة والصغيرة، وبيننا وبين الطهارة والقداسة حاجز من اليأس لا نتخطَّاه. نطوِّب القديسين والقديسات، ونلعن أيامنا التي تفرُّ أمامنا والتي فرَّت فارغة لا تحمل ثمرة نحملها أو نقدِّمها إلى الله. نبكي موتنا وموتانا وندفن آباءنا وأُمهاتنا، وإخوتنا وأخواتنا يلفُّهم اليأس ويلفُّنا، مدَّعين بكلمات لا نؤمن بها ولا نثق من مضمونها أننا نستودعهم ليذهبوا إلى أحضان القديسين والقديسات ويرثوا السموات، في حين أن قول الإنجيل إن "الفاسد لا يرث عدم الفساد" يقف ليشهد ضد ما نقول ونتوهَّم. فهذا إنما هو حق فقط - محجوز ومحفوظ - لأصحاب الإنسان الجديد والخليقة الجديدة التي موطنها السماء.

وهكذا يضيع العمر عبثاً في حين أننا لو رفعنا أعيننا لَوَجَدْنا النماذج الحية الجديدة التي تعيش في جدَّة الحياة، والتي انتقلت قبل أن تنتقل، من الجسد العتيق وأعماله الميتة إلى الجسد الجديد الروحي، ولها سمات المسيح وشهادة الحياة الأبدية في فمها، والرجاء يملأ عينيها، والبساطة والمحبة تشع من كل كلمة وكل عمل. هؤلاء يملأون أيامهم عملاً وشهادة وصلاة روحية فعَّالة تنطق بحلول الروح القدس وتمجِّد الله، يقضون أيامهم بفرح، ويرحلون وإكليل الابتهاج على رؤوسهم. وهكذا يمجِّدون الله بحياتهم ومماتهم.

إذن، فالله ليس بظالم أن يحبسنا في هذا الجسد العتيق وخلقته الترابية، وأمام أعيننا مَنْ تخطَّوه عياناً بياناً واستردوا خلقتهم الجديدة المذّخرة لنا في القلب، الذي وصفه الله أنه هيكل الله وروح الله ساكن فيه؛ فالله ينتظر انتهاء عهد الجهالات وفروغ الوقت الضائع وبدء حركة المخاض بصراخ الصلاة والدموع، لكي يُستعلن فينا هذا الإنسان الجديد ونقبله، فيكمل فينا الوعد، ونستلم بروحنا العهد، ونحيا في ملء حقيقة الإنجيل بحسب تدبير الله الذي خلقه فينا لتمجيده وتقديم العبادة والشكر والفرح.

نعم! هذه هي الحياة التي وهبها لنا الله في خليقتنا الروحية الجديدة التي لنا، ودفع لنا ثمنها ببذل ابنه للموت على الصليب، وقيامته لنحيا فيه ومعه في ذات القيامة.

(يناير ١٩٩٧)

هل الإيمان بالمسيح يحتِّم علاقة شخصية بالمسيح؟

■❖●❖■

عنصر العلاقة الشخصية بالمسيح يشكِّل في الإيمان المسيحي أعظم وأخطر الأركان التي تقوم عليها حياة الإنسان في المسيح يسوع.

لأنه إما ينحصر الإيمان في المدارك العقلية ليبقى المسيح شخصية أخرى يقترب منها العقل وقتما يشاء ويتأمل ويناظر ويصف ويتحدث عن شخص اسمه يسوع المسيح، حتى ولو بلغ أنه هو ابن الله، والله ظهر في الجسد، وأنه المخلِّص والفادي، ولكن كل ذلك من مدارك العقل والحفظ والاستذكار؛ وإما يكون الإيمان عن شهادة الروح والإحساس بالانطباع الكياني الذي أنشأه المسيح في الإنسان الجديد الجواني عن الابن الوحيد المحبوب وحيد الآب، الذي طبع بصمات جروحه على الصليب في هيكل جسدنا الجديد ووهبه روح قيامته، فصار للمسيح وجود وكيان مذبوح حيٌّ قائم من بين الأموات في أغوار خلقتنا الجديدة، التي عنها صرخ القديس بولس بإحساس يقيني وشهادة صدق علنية، لنوع الاتحاد السرِّي الذي دخل به الرب الروح في حياة القديس بولس ليقول: «فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ» (غل ٢: ٢٠)، توثيقاً لشهادة المسيح الإلهية الصادقة: «أنتم فيَّ وأنا فيكم» (يو ١٤: ٢٠)، «اثبتوا فيَّ وأنا فيكم.» (يو ١٥: ٤)

هذا هو واقع إيمان الروح وليس العقل المدرِك لماهية ابن الله. فالإيمان

بالمسيح يكون على درجتين:

الأولى: الدرجة الإنسانية العقلانية الذكية الفاهمة لماهية الرب الإله التي يمكن أن نكتب عنها الكتب ونتكلّم ونتحدث باستفاضة عن كيان إلهي آخر نراه من بعيد ونحكي عنه.

والثانية: الدرجة الروحانية التي عن وعي الروح ترى الرب الروح وتحسُّه، لا إحساس الآخر، ولكن الإحساس الذي يتلاشى فيه "الأنا" أي الذات، فمنه هو أستمد إحساسي بذاتي، إذ لا وجود لي إلاّ به وفيه: «الذي من أجله خسرت كل الأشياء، وأنا أحسبها نفاية لكي أربح المسيح، وأُوجد فيه» (في ٣:٨و٩). واضح من كلام القديس بولس أنه خسر كل الأشياء ولم يبقَ له شيء إلاّ المسيح! هذا الذي ملأ كيانه ووجدانه، فلم يَعُدْ يفكِّر أو يحس بشيء إلاّ في المسيح. هنا إيمان القديس بولس بالمسيح جعل المسيح كل شيء للقديس بولس حتى نفسه.

هذا الإدراك الروحي الواعي بشخص المسيح المالئ الكل لا يمكن أن يدركه العقل على الإطلاق، لأن العقل يدرك الآخر ولا يدرك نفسه، والإيمان الروحي بالمسيح جعل المسيح هو نفسي، لم أعُدْ آخر للمسيح ولا المسيح عاد آخر بالنسبة لي: «وأما مَنْ التصق بالرب فهو روح واحد» (١كو ٦:١٧)، وبالتالي: «مَنْ سيفصلنا عن محبة المسيح؟ أشدة أم ضيق أم اضطهاد أم جوع أم عُرْي، أم خطر أم سيف؟... إني متيقّن أنه لا موت ولا حياة... تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع.» (رو ٨:٣٥-٣٩)

فالمسيح هو الكل الذي يملأ الكل: «الكل في الكل» (أف ١:٢٣)، ولا يستطيع إنسان فرد أن يستوعبه إلاّ بقدر ما يملأه، ويستحيل أن يستوعبه أحد مهما بلغ من الإيمان به إلاّ بقدر ما يشترك فيه ويتّحد.

فالمسيح يستعلن نفسه لي بقدر ما يسعه إيماني وتدركه روحي. وخارجاً عن نفسي وعن روحي لا أدرك المسيح إلاَّ بعقلي باعتباره آخر. وفرق بين أن يستعلن المسيح نفسه لي، وأن أدركه أنا بعقلي. فما يستعلنه المسيح من نفسه لي هو حصيلة إيماني واتحاده بي بنعمته. أما إدراكي أنا للمسيح بعقلي فلا علاقة له بإيماني ولا يوصِّلني إلى الاتحاد به، بل يظل خارجاً عني إلى أن أقبله بإيماني فيستعلن نفسه لي، وباستعلان الروح أدركه.

إذن، أصبح الإيمان بالمسيح هو حقيقة صلتي بالمسيح وصلة المسيح بي. فالثبوت في المسيح وثبوت المسيح فيَّ المعبَّر عنه بالاتحاد بالمسيح الذي هو الشركة المقدسة بالروح والحياة في المسيح، هو معيار الإيمان الصحيح والعملي: «أما شركتنا نحن فهي مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح.» (١يو ١: ٣)

هنا معرفة المسيح والإيمان به هي معرفة ذاتية وليست فكرية: «لأنكم إن لم تؤمنوا أني "أنا هو" تموتون في خطاياكم» (يو ٨: ٢٤). هنا الإيمان بالمسيح إيمان بذاته أنه "الكائن بذاته"، وهو لقب يهوه في القديم. والإيمان بذات المسيح لا يأتي بالمعرفة العقلية، بل بقبوله الشخصي باعتباره أنه هو حياتنا الجديدة، حياتنا الحقيقية، التي كانت مخفية عند الآب وأُظْهِرَت لنا بحسب خبرة القديس يوحنا الاستعلانية للمسيح الكلمة:

+ «الذي رأيناه بعيوننا، الذي شاهدناه ولمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة (المسيح). فإن الحياة أُظْهِرَت، وقد رأينا ونشهد ونخبركم بالحياة الأبدية (المسيح) التي كانت عند الآب ("والكلمة كان عند الله" يو ١: ١) وأُظْهِرَت لنا. الذي رأيناه وسمعناه نخبركم به، لكي يكون لكم شركة معنا. وأما شركتنا نحن فهي مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح. ونكتب إليكم هذا لكي يكون فرحكم كاملاً.» (١يو ١: ١-٤)

بهذا يدخل بنا القديس يوحنا إلى مبدأ لاهوتي خطير وجديد: أن استعلان "الكلمة" هو استعلان الحياة الأبدية التي كانت مخفية عند الله الآب وأُظهرت لنا بظهور المسيح. هنا يشدِّد القديس يوحنا على كلمة "**لنا**". فظهور الحياة الأبدية كان خاصاً بنا، إذ احتوانا كظهور الشمس لنا، حيث تصبح الشمس فينا ونحن فيها دفئاً ونوراً.

وهكذا ظهور المسيح لنا يزداد خصوصية، لأن يوحنا الرسول يقول: إن الحياة التي كانت عند الآب "**أُظهِرَت**" خاصة لنا بإرادة الآب. فالحياة الأبدية استُعلنت لنا خاصة. هذه الخصوصية الشديدة والفريدة هي التي وصفها القديس يوحنا بـ "الشركة" مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح.

عملية الاستعلان هنا تشمل حتماً عمليات الاختيار والتقديس والتبرير معاً. هنا يُجْمِل القديس يوحنا كل لاهوت القديس بولس من فداء وخلاص ومصالحة وتبرير وتبنٍّ في عمل واحد فريد: استعلان الحياة الأبدية التي كانت عند الآب، وهي "الكلمة"، استعلنها خصيصاً لنا فاحتوانا الكلمة احتواءً، فصرنا في هذه الحياة الأبدية وهي فينا، وبالتالي في المسيح والآب، وصرنا شركاء حياة في الآب وفي ابنه يسوع المسيح. هذا هو منتهى الخلاص.

وهذا يتوافق مع منتهى محبة الله ونعمته، وهي عينها التي سكبها على القديس بولس الرسول مرة واحدة، إذ بعد أن آمن واعتمد قام يشهد للمسيح في المجامع أن هذا هو ابن الله. لقد غمرته الحياة الأبدية مرة واحدة فصار فيها يحيا سر الشركة مع الآب وابنه يسوع المسيح بلا تعليم. وكل ما عرفه بولس الرسول هو ما عرفه المولود أعمى هكذا: أنه كان أعمى والآن يبصر!

ومن هنا جاء معنى الفرح الكامل، لأن سرَّ الفرح الكامل هو اندفاق الحياة الأبدية دون ترقُّب أو معاناة أو أي أداء من طرفنا. وهذا معنى الاختيار والتعيين

المجانيَّيْن حسب غِنَى نعمة الله. فالأعمى نال نعمة النـور الكـامل لمجـرد الإرادة: «يا سيدي (أريد) أن أُبصر» (مـر ١٠ :٥١)، فـأبصر "وبحسـب إيمـانك ليكـن لك." (راجع مت ٩:٢٩)

هنا القديس يوحنا لم يقلِّل من قيمة الفـداء والكفَّـارة لأنـه وصفهـا كتـأمين للحياة الأبدية بعد نوالها: «يا أولادي، أكتب إليكم هـذا لكـي لا تخطئـوا. وإن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب، يسوع المسيح البـار، وهـو كفَّـارة لخطايانـا. ليس لخطايانا فقط، بل لخطايا كل العالم أيضاً» (١يـو ٢ :١و٢). الصليـب هنـا مع الفداء والكفَّارة جاء لتأمين الحياة الأبدية التي نلناها لَمَّا استُعلنت في شخص يسوع المسيح، لتأمين الشركة والثبوت فيها. ولقد سبق وأشار المسيح أنـه هـو القيامة والحياة: «أنا هو القيامة والحياة. مَنْ آمن بـي ولـو مـات فسيحيا» (يـو ١١ :٢٥). وأمَّنت مرثا على هذا بقولها: «قالت له: نعم يا سيد، أنا قـد آمنـتُ أنـك أنـت المسـيح ابـن الله، الآتـي إلى العـالم» (يـو ١١ :٢٧) إشـارة إلى الاستعلان. فالمسيح استُعلن أنه الحياة الأبديـة قبـل الصليـب: «أنـا هـو الطريـق والحق والحياة.» (يو ١٤ :٦)

لذلك احتسب القديس يوحنا أن الصليب والموت والكفَّارة جـاءت لتوثيـق وضمان الحياة الأبدية التي كانت عند الآب في الكلمة واستُعلنت لنا بالتجسُّـد، ونلنا بمقتضى ظهورهـا شـركة فيهـا بـالروح مـع الآب والابـن الـتي نـادى بهـا القديس يوحنا: «الذي رأيناه وسمعناه نُخبركم به، لكي يكون لكم أيضاً شركة معنا. وأما شركتنا نحن فهي مع الآب ومع ابنه يسوع المسـيح. ونكتـب إليكـم هذا لكي يكون فرحكم كاملاً.» (١يو ١ :٣و٤)

وهكذا اعتبر القديس يوحنا أن استعلان أو ظهور يسوع المسيح ابن الله هو نفسه الوعد الذي وعدنا به الله: «وهذا هو الوعد الذي وعدنا هـو بـه: الحيـاة

الأبدية» (١يو ٢: ٢٥). وظهور المسيح الذي هو ظهور الحياة الأبدية هو برهان عمل محبة الآب: «بهذا أُظْهِرَت محبة الله فينا: أن الله قد أرسل ابنه الوحيد إلى العالم لكي نحيا به» (١يو ٤: ٩). على أن عمل الحياة الأبدية فينا الذي هو عمل محبة الله نحونا في المسيح يسوع أسبق من عمل الكفّارة، فهو أحبَّنا أولاً ثم كفّر عن خطايانا بموت ابنه: «في هذا هي المحبة: ليس أننا نحن أحببنا الله، بل أنه هو أحبنا، وأرسل ابنه كفّارة لخطايانا» (١يو ٤: ١٠). فالتكفير عن الخطايا جاء لضمان قيام الحياة الأبدية.

لذلك جُعِلَ الميلاد الثاني من الماء والروح، أي الميلاد من الله، هو بمثابة الدخول إلى الحياة الأبدية **حيث ليس خطية**: «كل مَنْ هو مولود من الله لا يفعل خطية، لأن زرعه يثبت فيه، ولا يستطيع أن يخطئ لأنه مولود من الله» (١يو ٣: ٩). ذلك باعتبار أن الخطية من أعمال إبليس: «مَنْ يفعل الخطية فهو من إبليس، لأن إبليس من البدء يخطئ» (١يو ٣: ٨)، وأن المسيح قد جاء لينقض إبليس وأعمال إبليس: «لأجل هذا أُظْهِرَ ابن الله لكي ينقض أعمال إبليس» (١يو ٣: ٨). لذلك تنحصر هنا الخطية في معنى **"العمل ضد الله"**، كونها من عمل إبليس. ولهذا يصبح حقاً أن المولود من الله لا يعمل خطية أي لا يعمل عملاً ضد الله، لأن زرع الله - أي روح الحياة - فيه، ويستحيل أن روح الحياة في المسيح يعمل ضد الله.

ثم عاد القديس يوحنا يفرِّق بين خطية مميتة ليس لها غفران (١يو ٥: ١٦و١٧) وهي إنكار المسيح ابن الله أنه جاء بالجسد، أي إنكار استعلان الحياة الأبدية؛ وخطية أخرى غير مميتة وهي كل خطية لا يدخل فيها إنكار المسيح ابن الله أو استعلان الحياة الأبدية بالتالي. هذه لا يخلو منها أي إنسان: «إن قلنا إنه ليس لنا خطية نضل أنفسنا وليس الحق فينا» (١يو ١: ٨). ثم أدخل كل الخطايا التي ليست موجَّهة ضد الله وإنكار الابن وإنكار الحياة

الأبدية تحت الغفران بالاعتراف: «إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل، حتى يغفر لنا خطايانا ويُطهِّرنا من كل إثم» (١يو ١: ٩)، «ودم يسوع المسيح ابنه يُطهِّرنا من كل خطية.» (١يو ١: ٧)

على أن القديس يوحنا يطالبنا أن لا نخطئ، وبهذا جعل الخطية مسئولية الإرادة، ولكن عاد وأدخل الخطية تحت قوة الكفَّارة التي لدم المسيح بواسطة شفاعة المسيح عند الله الآب: «يا أولادي، أكتب إليكم هذا لكي لا تخطئوا. وإن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب، يسوع المسيح البار، وهو كفَّارة لخطايانا. ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضاً.» (١يو ٢: ١و٢)

وبهذا يكون القديس يوحنا قد ضمن بقاءنا في الحياة الأبدية في شركة مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح بصورة ثابتة، إذ أخضع الخطية تحت سلطان الشفاعة والغفران، فأصبحت حياتنا مؤمَّنة ضد الموت والهلاك، بل مكفول لها الثبات في المسيح والفرح الكامل.

والحياة الأبدية عند القديس يوحنا في معيارها اللاهوتي تُساوي الخلاص عند القديس بولس. ولكن إن كان كل شيء عند القديس بولس ينتهي بالخلاص سواء الكفَّارة والفداء أو المصالحة والتبني، إلاَّ أن عند القديس يوحنا فإن كل شيء يبتدئ بالحياة الأبدية وينتهي إليها. لذلك نجده في إنجيله يبدأ بالحياة الأبدية: «فيه كانت الحياة، والحياة كانت نور الناس» (يو ١: ٤)، وينتهي إنجيله بأن غاية الإنجيل هي أن يكون لنا حياة باسمه: «وأما هذه فقد كُتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله، ولكي تكون لكم إذا آمنتم حياة باسمه» (يو ٢٠: ٣١). كذلك يبتدئ رسالته الأولى بالحياة الأبدية: «التي كانت عند الآب، وأُظهِرَت لنا» (١يو ١: ٢)، وينتهي من الرسالة بالحياة الأبدية أيضاً: «ونحن في الحق في ابنه يسوع المسيح. هذا هو الإله الحق والحياة

الأبدية.» (١يو ٥: ٢٠)

وهو يؤكِّد أننا نلنا الحياة الأبدية بالإيمان باسم يسوع المسيح. وأن المسيح يؤمِّن لنا الوجود في هذه الحياة الأبدية بشفاعته لدى الآب إزاء خطايانا باعتباره أنه قدَّم نفسه كفَّارة لخطايانا، بل ولخطايا كل العالم أيضاً. لذلك فإنه يؤكِّد لأولاده أن خطاياهم قد غُفرت ليعيشوا "بضمير عدم الخطايا" تأكيداً لما كتبه القديس بولس الرسول في رسالة العبرانيين: «فكم بالحري يكون دم المسيح الذي بروح أزلي قدَّم نفسه لله بلا عيب، **يُطهِّر ضمائركم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحي.**» (عب ٩: ١٤)

والقديس يوحنا يسلِّح ضمائرنا بحالة غفران أكيد مهيَّأ لنا لدى المسيح: «إن اعترفنا بخطايانا فهو **أمين وعادل**، حتى يغفر لنا خطايانا ويطهِّرنا من كل إثم» (١يو ١: ٩). وهذا التأكيد المتزايد من جهة رفع إحساسنا بالخطية من جهة الضمير يجيء عند القديس يوحنا تكراراً وبتركيز حتى لا يختل إحساسنا وتمتُّعنا بشركة الحياة الأبدية مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح، وليكمل فرحنا.

فالاستمتاع بالخلاص عند القديس بولس يجيء عند القديس يوحنا استمتاعاً بالحياة الأبدية والشركة مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح. وإن كان الإيمان هو حارس الخلاص عند القديس بولس، فالمحبة هي حارسة الحياة الأبدية والشركة مع الآب وابنه يسوع المسيح عند القديس يوحنا. وإن كانت الخطية عند القديس بولس قد أبطلتها النعمة، فالخطية عند القديس يوحنا قد غلبتها المحبة.

فالخلاص عند القديس بولس طريقه صاعد من الأرض إلى السماء، ومن الإنسان إلى الله. أما الحياة الأبدية عند القديس يوحنا فهي استعلان من الله ليغمرنا، فنرى أنفسنا في شركة الحياة مع الآب والابن، ولسان حالنا هو: «أني كنت أعمى والآن أُبصر.» (يو ٩: ٢٥)

والحياة الأبدية عند القديس يوحنا يحكمها عنصران من عناصر الروح: المعرفة والمحبة. و"**المعرفة**" هي بنت الاستعلان، لأن **استعلان كلمة الله** الذي كان عند الآب وأُظهِرَ لنا يعني في الحال التعرُّف على الآب، والتعرُّف على الآب يولِّد المحبة: «لا أعود أُسمِّيكم عبيداً، لأن العبد لا يعلم ما يعمل سيده، **لكني قد سمَّيتكم أحبَّاءَ لأني أعلمتكم بكل ما سمعته من أبي.**» (يو ١٥:١٥)

وهكذا صار جوهر الحياة الأبدية: "**حب ومعرفة**"، والمعرفة كُنِيَ عنها بالنور وبالحق أيضاً. ويلذ للقديس يوحنا أن يقرن المحبة بالنور: «مَنْ يحب أخاه يثبت في النور وليس فيه عثرة. وأما مَنْ يبغض أخاه فهو في الظلمة، وفي الظلمة يسلك، ولا يعلم أين يمضي، لأن الظلمة أعمت عينيه» (١يو ٢:١١). فلو قلنا إن النور هو الله وهو الحق، يظهر بوضوح جداً هدف القديس يوحنا. لأن الذي يحب يثبت في الله والحق، والذي يبغض يخرج خارج الله، في الظلمة حيث لا طريق ولا باب ولا رؤية.

بل إن: «كل مَنْ يحب فقد وُلد من الله» (١يو ٤:٧)، لأن المحبة المسيحية هي صفة الإنسان الجديد، الخليقة الجديدة المولودة من الله على شكله، فأصبح الحب مقياساً حسَّاساً لحدوث عملية الولادة الثانية من فوق أي الخليقة الجديدة بالروح.

والحب عرفناه أنه ابن المعرفة، والمعرفة عرفناها أنها بنت الاستعلان. هذا يعني أن الحب الذي أحب به أخي هو حب استعلاني!! وما معنى هذا؟ هذا يعني أن حب أخي هو اكتشاف أو استعلان حقيقة إلهية تجذبني نحو أخي، فيصير حبنا هو انجذاب ثنائي متَّجه نحو الله تغذِّيه معرفة جديدة إلهية. بهذا يتأكَّد أن حبي لأخي هو في النور ويتغذَّى به. هذا يُكنى عنه بالحب في الله، في المسيح، في الروح، في الحق، في النور، في الحياة الأبدية.

فالحب حياة، والحياة حب أحياه ويحياه معي أخي. إذن، فالبغضة موت وقتل، موت لنفسي ونفس أخي معي، لأني حرمت نفسي وحرمته من الحياة: «كل مَنْ يبغض أخاه فهو قاتل نفس.» (١يو ٣:١٥)

فارق شاسع بين الحب الجسدي بكل أشكاله، وبين الحب الروحي. الحب الجسدي تعلُّق نفس بنفس، هذا مآله للموت؛ والحب الروحي تعلُّق نفسين بالمسيح، وهذه هي الحياة الأبدية، والجسد الواحد. وهذا هو الذي حدث لَمَّا أُظهِرَت الحياة الأبدية التي كانت عند الآب، فقد أُظهِرَت المحبة التي تجمع بين الذين قبلوها، فصارت الشركة مع الله ومع ابنه يسوع المسيح، وصار الفرح الكامل.

وهكذا كان بظهور الحياة الأبدية، ظهور الشركة مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح؛ لأن بظهورها كان ظهور حب الآب الذي يجمع، والنور (معرفة الآب) الذي يوحِّد. وهذه هي النتيجة المباشرة لاستعلان الآب بالابن: «وعرَّفتهم اسمك وسأُعرِّفهم، **ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به، وأكون أنا فيهم**» (يو ١٧:٢٦)، «**ليكون الجميع واحداً، كما أنك أنت أيها الآب فيَّ وأنا فيك، ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا.**» (يو ١٧:٢١)

هذا هو "**الاستعلان**" الذي أتى به الابن من عند الآب، أي معرفة الآب في ذاته ومحبته المنسكبة في الابن، وهذه هي الشركة التي يتكلَّم عنها القديس يوحنا التي كانت لهم مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح، وسر الفرح الكامل. هذا طرحه المسيح على الرسل، والرسل طرحوه بذات الحب وذات النور والمعرفة فينا لتكون لنا شركة معهم في الآب وابنه يسوع المسيح، هذه التي طلبها المسيح من الآب في آخر لحظة من حياته على الأرض: «ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به، وأكون أنا فيهم.» (يو ١٧:٢٦)

فإنْ انسكب حب الآب الذي يحب به الابن فينا، وصار المسيح الابـن فينـا، صرنا حتماً وبالضرورة في اتحاد غير منفصم مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح.

من هنا يجيء حل اللغز العجيب والمدهـش في قـول القديـس يوحنـا: «أيهـا الأحباء، الآن نحن أولاد الله، و لم يُظهَر بعد ماذا سنكون. **ولكن نعلـم أنـه إذا أُظْهِرَ نكون مثله، لأننا سنراه كما هـو**» (١يـو ٣:٢). لأنـه إن كـانت محبـة الآب للابن قد صارت فينا، وصار فينا المسيح الابن ذاته، فهـل مـن شـيء بعـد لا يجعلنا مثله؟ فإن كان هو موجـوداً فينـا، وحـب الله الآب للابـن فينـا، فقـد صرنا مثله. ولكن الآن ونحن بالجسـد يصعـب أن نتصوَّر ذلـك، ولكـن هنـاك حيث لنا الخليقة الجديدة يكون فعلاً إذا أُظهر المسيح "نكون مثله، لأننـا سـنراه كما هو فينا"!!!

ليس هذا قول ادِّعاء من يوحنا الرسول، لأن في الحقيقة الابن هو الذي أخذ شكلنا وصار مثلنا كإنسان بالجسـد، فـاغتنم الفرصـة ليغيِّر شـكلنا ومثالنـا إلى شكله ومثاله بالروح أي بالجسد الجديد، الخليقة الروحانية، الإنسـانية الجديـدة المخلوقـة علـى صـورة الله: «وتلبسـوا الإنسـان الجديـد المخلـوق بحسـب الله (كالله) في البر وقداسة الحـق» (أف ٤: ٢٤)، «ولبسـتم الجديـد الـذي يتجـدَّد للمعرفة حسب صورة خالقه.» (كو ٣: ١٠)
من هنا يجيء القول المتقن أننا بالنهاية: "سنكون مثله، لأننا سنراه كمـا هـو فينا"!!!

هذا الأمر يعالجه القديس بولس على درجـات، إذ يلاحـظ القـارئ في قـول الآية: «وتلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسـب الله (كـا لله) في الـبر وقداسـة الحق» (أف ٤: ٢٤)، أن هذا يتم بالميلاد الثاني من المـاء والـروح المحسـوب أنـه "ميـلاد مـن فـوق"، للذيـن "وُلِـدوا مـن الله". هـذا يؤكِّـد لنـا أننـا الآن بحـق

معموديتنا نحمل هذا الإنسان الجديد المحسوب أنه خليقة جديدة روحانية بحسب الله «**في البر وقداسة الحق**»، وهما الصفتان الأساسيتان لإمكانية اتفاق هذه الخليقة الجديدة مع خالقها لتبلغ الاتحاد أو الشركة بالروح. ثم يعود القديس بولس ويؤكِّد أن الإنسان الجديد هذا أو الخليقة الروحانية الجديدة فينا الآن إنما تتجدَّد بالمعرفة (استعلان الله الآب) لتكون على **صورة خالقها** تمهيداً لبلوغ حالة الشركة مع الآب والابن.

وهذه الحقيقة العظمى أهملها العلماء والدارسون للأسف المرير. ونحن نتعجب لماذا نحتقر عمل الله العظيم هذا كونه يُلبسنا الإنسان الجديد المخلوق على صورة الله في البر والقداسة ليكون لنا الحق في حالة الشركة المجانية مع الله الآب وابنه يسوع المسيح.

ولكن إن اكتفينا بجسدنا المادي هذا الذي نعيش فيه، وأهملنا خليقتنا الروحية الجديدة فينا التي نلناها بالمعمودية والمسحة ونفخة الروح القدس، والتناول من الجسد والدم الأقدسين، والتي هي على صورة الله والمسيح في البر وقداسة الحق؛ فنحن نكون حينئذ أشقى خليقة، ويكون المسيح قد تعب من أجلنا عبثاً.

والخطورة في إهمالنا مواهب الخليقة الجديدة فينا أن ذلك يحرمنا من الشركة مع الآب والابن يسوع المسيح، لأنه بدون الإنسان الجديد فينا لا يكون لنا علاقة حقيقية مع المسيح، وبالتالي مع الآب. لأن الإيمان المسيحي لا يصدر من مركز الإنسان المادي أي العتيق لأنه لا يستطيع. لأن فيما يقوله القديس بولس: «لأنك إن اعترفتَ بفمك بالرب يسوع، وآمنتَ بقلبك أن الله أقامه من الأموات، خلَصْتَ» (رو ١٠:٩) فما معنى: "إن آمنتَ بقلبك"؟ ما هو القلب؟ لأن قلب الإنسان هو مركز الحق والصدق والأمانة والشرف في الإنسان، وليست هذه صفات الإنسان المادي، بل هي صفات الإنسان الروحي فينا.

فالإيمان هو عمل الإنسان الجديد، لأن الإيمان بالمسيح لا يخص ولا يمت للإنسان الترابي بصلة. فالخليقة الجديدة هي خليقة المسيح وعلى صورته، وهي التي تعبِّر عن إيمانها وحبها وصلتها بالمسيح خالقها، ويكون إيمانها صحيحاً وواقعياً. أما الاعتراف بالفم فهو من نصيب الحواس: «الذي كان من البدء، الذي **سمعناه**، الذي رأيناه **بعيوننا**، الذي **شاهدناه**، **ولمسته أيدينا**، من جهة كلمة الحياة» (١يو ١:١). وهكذا يأتي الاعتراف بالفم من نصيب الحواس والعقل.

ولكن المهم عندنا أن الإيمان المسيحي مصدره الإنسان الجديد المخلوق على صورة الله في القداسة والحق، لذلك يُحسب الإيمان للإنسان أنه عمل كبير جداً وهام للغاية: «إن آمنتِ ترين مجد الله.» (يو ١١:٤٠)

فإذا وضعنا الإيمان بالمسيح في وضعه الصحيح على أنه تعبير الإنسان الجديد فينا المولود من الله على صورته في القداسة والحق، يعبِّر به عن صلة حب وقُرْبَى واتحاد وشركة، هذا يكون هو الإيمان الحقيقي الذي يورِّث الحياة الأبدية، بل هو يكون منطوقاً من واقع الإحساس بالوجود في الحياة الأبدية في حالة شركة مع الآب وابنه يسوع المسيح، حيث يكون لنا الفرح الكامل، الضائع منَّا الآن بسبب عدم صحة إيماننا بالمسيح، إذ اقتصر على إدراك العقل لصفات الابن اللاهوتية دون إحساس واقعي وشركة أو محبة صادقة.

وكان من نتيجة عدم صحة إيماننا بالمسيح على مستواه الروحي من واقع إحساس الإنسان الجديد المولود من الله، أننا لازلنا نشعر أننا خطاة وأننا نعيش في إنساننا العتيق غرباء عن الله والمسيح، في حين أن أهم صفة للإنسان الجديد المولود من الله أنه لا يخطئ:

+ «نعلم أن كل مَنْ وُلِد من الله لا يخطئ، بل المولود من الله يحفظ نفسه،

والشرير لا يَمَسُّه. نعلم أننا نحن من الله، والعالم كله قد وُضِعَ في الشرير. ونعلم أن ابن الله قد جاء وأعطانا بصيرة لنعرف الحق. ونحن في الحق في ابنه يسوع المسيح. هذا هو الإله الحق والحياة الأبدية.» (١يو ٥:١٨-٢٠)

لقد ضاع منّا الإحساس أننا مولودون من الله، وأننا مسلّحون ببر المسيح، والشرير لا يمسّنا، وأن لنا بصيرة لنعرف الحق، وأننا في الحق وفي الحياة الأبدية لأننا في المسيح يسوع نعيش، هذا كله ضاع منّا بسبب ضياع مفهوم أن الإيمان بالمسيح هو عمل الإنسان الجديد المولود من الروح، وأن الإيمان الحقيقي هو حالة حب واتصال بالمسيح، وليس مجرد تصوُّر عقلي نحفظه بفمنا ونتلوه بلساننا، ووعينا الروحي غائب، وحقيقة المسيح غائبة عنا.

أما قوله في نهاية الأصحاح الخامس أننا: «نعلم أن كل مَنْ وُلِد من الله لا يخطئ، بل المولود من الله يحفظ نفسه (أو هو محفوظ بالروح)، والشرير لا يمسّه» (١يو ٥:١٨)؛ فهذا هو حال الإنسان الجديد فينا، لأنه خليقة جديدة على صورة الله في القداسة والحق. وفي آية أخرى يقول إنه: «لا يفعل خطية، لأن زرعه (زرع الله) يثبت فيه، ولا يستطيع أن يخطئ لأنه مولود من الله» (١يو ٣:٩). فالخطية أصبحت من أعمال الإنسان العتيق، جسد الموت، وحتى هذه تحت الغفران بالاعتراف. ولكن الذي يؤكّد عليه القديس يوحنا أن المولود من الله **لا يفعل خطية، ولا يستطيع أن يخطئ** لأنه مولود من الله، بمعنى أنه كائن في الله، وزرع الله أي روح الله فيه، وأيضاً كلمته أي المسيح: «إن كان المسيح فيكم فالجسد ميت بسبب الخطية، وأما الروح (الإنسان الجديد) فحياة بسبب البر.» (رو ٨:١٠)

وقول القديس بولس: «أما البار فبالإيمان يحيا» (رو ١:١٧)، هذا القول

عند القديس يوحنا له وزن عالٍ جداً، لأن مَنْ هو البار؟ البار هو الذي نال بِرّ المسيح بالإيمان بموت المسيح وقيامته من بين الأموات، كما يقول بولس الرسول مكمِّلاً الآية السالفة: «لأن القلب يُؤمَن به للبر، والفم يُعترَف به للخلاص» (رو ١٠:١٠). فالذي يؤمن بقيامة المسيح ينال بر المسيح: «الذي أُسلِم من أجل خطايانا وأُقيم لأجل تبريرنا» (رو ٤:٢٥)، لأن المسيح لما مات ومتنا معه أُلغيت عنّا عقوبة اللعنة والموت، ولما قام المسيح وهبنا برَّه الذاتي كمَنْ أطاع أباه حتى الموت لحسابنا.

إذن، فالبار الذي آمن بقيامة المسيح يحيا مع المسيح في برِّه، وهذه هي الشركة عند القديس يوحنا، الشركة مع الآب وابنه يسوع المسيح مصدر كمال الفرح المسيحي.

فالحياة ببرِّ الإيمان عند القديس بولس هي شركة الحياة مع الآب ومع المسيح ابنه عند القديس يوحنا. ولكن الغريب في المقارنة هنا أن المصدر الأول الذي يشعل حياة بر الإيمان عند القديس بولس هو "الإيمان"، ولكن مصدر الإشعال في شركة الحياة الأبدية عند القديس يوحنا هو الاستعلان الإلهي المجاني: «**الحياة أُظهِرَت**»، «الحياة الأبدية التي كانت عند الآب **وأُظهِرَت لنا**» (١يو ١:٢). فالله ظهر في الجسد، ووهب لنا الحياة الأبدية مجاناً!

وعند القديس بولس كل مَنْ يؤمن يصير ابناً لله (غل ٣:٢٦)، أما عند القديس يوحنا فـ «كل مَنْ يحب فقد وُلِد من الله.» (١يو ٤:٧)

ولكن لا فرق، فالذي يؤمن يؤمن بإنسانه الجديد المولود من الله.
والذي يحب يحب بإنسانه الجديد المولود من الله.

فكل ما أتى به القديس يوحنا هو أنه جعل للمحبة قوة الإيمان. وهذا يجعلنا نختم بالقول أن **الإيمان هو فعل محبة**. وإيماني بالمسيح يعني أني منعطف نحوه

وممسك بحبه، وبحبِّي للمسيح أثبت أني ابن الله حقاً:

+ «كل مَنْ يحب فقد وُلد من الله.» (١يو ٤:٧)

+ «الآب نفسه يحبكم، لأنكم قد أحببتموني.» (يو ١٦:٢٧)

+ «والذي يحبني يحبه أبي، وأنا أحبه، وأُظهِر له ذاتي.» (يو ١٤:٢١)

الحب هنا عند القديس يوحنا يجيء في موضع الإيمان عند القديس بولس.

إذن، فشهادة الإيمان بالمسيح لا تكفي!!! لابد من المحبة!!! «يا سمعان بن يونا: أتحبُّني؟... ارْعَ غنمي.» (يو ٢١:١٧)

وبالنهاية يتحقق لدى القارئ ما قلناه أولاً: إن الإيمان بالمسيح يُحتِّم علاقة شخصية بالمسيح.

والآن، هل أنت مؤمن بالمسيح حقاً؟

(أكتوبر ١٩٩٦)

التزائي قدَّام الله

+ «كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم، لنكون قدِّيسين وبلا لوم قدَّامه في المحبة.» (أف ١: ٤)

□◆●◆□

«لنكون قدِّيسين وبلا لوم قدَّامه في المحبة»:

أنْ نكون قديسين وبلا لوم قدَّامه في المحبة، ليست شرطاً، بل هي إحدى مكوِّنات الإنسان الأساسية الداخلة في صميم خلقته حسب قصد الله قبل تأسيس العالم. بمعنى أن هذه هي إرادة الله أن يكون الإنسان "قديساً وبلا لوم في المحبة" من واقع خلقة الله للإنسان، لكي يؤهَّل للوقوف قدَّام الله، لا عن سعي واجتهاد ولكن كهبة مغروسة في طبيعتنا الجديدة!

وقد عاد القديس بولس وأوضح هذه الحقيقة علناً بالنسبة للأمم الذين آمنوا بالمسيح، أنه قد صارت لهم هذه الطبيعة الجديدة بعمل المسيح هكذا: «وأنتم الذين كنتم قبلاً أجنبيين وأعداء في الفكر، في الأعمال الشريرة، قد صالحكم الآن في جسم بشريته بالموت، ليُحضركم قدِّيسين وبلا لوم ولا شكوى أمامه، إنْ ثبتُّم على الإيمان، متأسِّسين وراسخين وغير منتقلين عن رجاء الإنجيل...» (كو ١: ٢١-٢٣). إذن، فقد أخذناها كهبة من المسيح.

والآن، وإذ قد نلنا بالفعل هذه الخليقة عينها التي كانت في مقاصد الله الأزلية قبل تأسيس العالم وأخذناها ـ بالميلاد الثاني من فوق من الماء والروح ـ علينا أن نتحسَّس هذا الحال عندما نقف أمام الله ـ بشيء كثير من تجاوز

الواقع الضعيف الذي نحن فيه بسبب ثقل الجسد العتيق الجاثم فوق صدر الإنسان الجديد الروحي الذي نحسُّه في القلب ـ ولكن في فترات الحرارة الروحية يمكن أن نتذوَّق هذا الحال عندما نحس بنعمة الاقتراب من الله كمجرد تذوُّق ولكن إلى لحظات، لأننا في الواقع نعيش الآن بالروح في الجسد الجديد كالعربون وليس بالتمليك. فهنا دائماً سَبْق تذوُّق لِمَا سننتهي إليه كقيام دائم هناك حينما تُرفع العوائق: الجسد العتيق والزمن.

ولكن على كلٍّ حال، فذلك ليس منّا، ولكن هي المواهب الممنوحة للإنسان الجديد الروحي حينما تأخذ فرصتها أثناء الصلاة، باعتبار أن مواهب الإنسان الجديد هي عينها حصيلة نعمة المسيح التي يعمل بها الإنسان الجديد. على أن قربنا من الله أو تقرُّبنا إليه سببه أصلاً أن "الرب قريب" من الإنسان! وأن الإنسان الذي آمن واعتمد وقَبِلَ خلقته الجديدة بالميلاد الثاني في المعمودية قد لَبِسَ المسيح حسب قول بولس الرسول في (غل ٣:٢٧). وبالتالي أخذ ما للمسيح، فتمَّت فيه الآية التي تقول: «فيه (المسيح) يحلُّ كلُّ ملء اللاهوت جسديًّا. **وأنتم مملوؤون فيه.**» (كو ٢:٩و١٠)

ومع أن الترائي أمام الله هو حال الإنسان الجديد الدائم، وهو نعمة المسيح عينها العاملة فينا أن نوجد قريبين من الله وواقفين أمامه بحال القداسة وبلا لوم في المحبة، إلاَّ أنها في البداية لا تملأ أبداً مساحةً معقولةً من الزمن، بل هي لمجرد لحظة خاطفة لا تتكرر عن خبرة أو جدارة أو استحقاق، ولا تُحسَب كأنها تبدأ منّا وكأننا نحن الذين نقترب إليه حتى ولو وقفنا أمامه ساعات. لأن حركة الاقتراب هي مبادرة تأتي من الله أولاً، لأنه مصدر التأهيل الذي يوقفنا أمامه بحال القداسة وبلا لوم في المحبة، إذ يُستعلن الله نفسه كآب، وفي الحال نستمد منه روح البنوَّة ونقف بحال القداسة وبلا لوم في المحبة بقوة آتية منه كموجات تتغلغلنا وتحيط بنا كالسحابة النيِّرة التي غطَّت التلاميذ لحظة التجلِّي.

ولكن بعدها ينتهي كل شيء ونرتد إلى حال الضعف، حيث يصبح حال القداسة وبلا لوم في المحبة مجرد شهوة وتمنّي وحال بعيد المنال، لأن مبادرة الله في القُرْبى - "الرب قريب" - واستعلان أبوّته هي إلى لحظة، نحس فيها أننا اقتربنا وصرنا وقوفاً أمامه ونلنا حال التبنّي وصرنا في قداسة وبلا لوم في المحبة.

ولولا أننا مستورون في المسيح ما استطعنا إطلاقاً أن نوجد بقربٍ من الله، أو نوجد أمامه. فالمسيح في اقترابنا من الله يكون هو اليد التي يستر بها الله نفسه لكي لا نرى وجهه. هكذا، ومن خلال المسيح، نرى وراءه الذي هو مجده (خر ٣٣:١٨-٢٣): «**ناظرين** مجد الرب بوجه مكشوف، كما في مرآة، نتغيَّر إلى تلك الصورة عينها، من مجد إلى مجد، كما من الرب الروح» (٢كو ٣:١٨). وهذا يكفينا لأن: «الذي رآني فقد رأى الآب.» (يو ١٤:٩)

ونحن نستمد من الوقوف أمام الله، ونحن مستورون في المسيح، ما يكفينا ليشدِّد كياننا الجديد الذي نحبو به وتنشحن ملكاته وتتجدَّد طاقاته، ليُمارِس وجوده وسط معاكسات العالم وثقل الجسد العتيق ومشاغباته، لأنها أيام غربة لا استيطان، يكفينا فيها من الصلاة مؤونة للعبور.

بالإضافة إلى أنه تجيئنا من المسيح دعوة سمائية تُنعش رجاءنا لتُزيد من الطمع والجرأة لمزيد من الوقوف أمام الله والتمادي في الاقتراب منه، وذلك من فم المسيح الذي يقول: «الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا... لأن **الآبَ طالبٌ** مثل هؤلاء الساجدين له (بالروح)» (يو ٤:٢٤و٢٣). هذه ذخيرة نضمها إلى مقدَّرات الإنسان الجديد وإمكانياته التي غرسها الله فيه ليكون له الوقوف قدَّام الله بحال القداسة وبلا لوم في المحبة!

لأنه عندما يقول المسيح إن الله **طالب** هؤلاء الساجدين له بالروح، نُدرك في الحال أن دعوة الاقتراب من الله والمقابلة قد حدَّدها الله رسمياً من طرفه هو،

كدعوة شخصية يطلبها ا لله بنفسه، وهي بحد ذاتها تجعل تقرُّبنا من ا لله بالصلاة والسجود بالنسبة لنا الآن يرتفع عن مستوى الشهوة والتمني أن يكون لنا وقوف أمام ا لله، والاقتراب منه في الصلاة، إلى حال المطالبة الرسمية الآتية من فم ا لله، ليس للوقوف أمامه وحسب؛ بل والدخول إليه والسجود له بالروح والحق.

وكَوْن المسيح يؤكِّد أن الله يطلب الساجدين له: "**بالروح والحق**"، فإنه يهدف بكل يقين أن يدعو الإنسان الجديد الذي له الروح والحق في المسيح ليخرج إلى الوجود الواعي ليُمارِس علاقته الأساسية بالله منذ الآن كأمرٍ، الذي هو أكثر من وصية، فهو مطالَبة من الله.

فأصبحنا الآن حينما نتقدَّم إلى الله ونتراءى أمامه بالصلاة، فنحن في الواقع نلبِّي دعوة عُليا وليس هو اجتراء منّا. هو تلبية لمطالبة الله بالاقتراب إليه والسجود أمامه بالروح والحق، أي بدالة الخليقة الجديدة التي خلقها لنا في المسيح، فنصبح ولنا ثقة بالدخول إليه باطمئنان النفس من جهة القبول والاستحقاق الموهوب لنا بحال من القداسة وبلا لوم في المحبة، لأن ترائينا أمامه هو من واقع شركة في المسيح ابنه عن اختبار وتبنٍّ لتكميل مشيئة الله، إنه طلب أبوي ننفِّذه كأبناء بدالة المسيح.

ولكن الذي يسترعي انتباهنا جداً هو: لماذا يطلب الله الساجدين له بالروح والحق؟ إن هذه أول مرَّة في حياتنا نسمع أن الله يطلب منّا شيئاً لنفسه؟ الرد على هذا السؤال يأتي من الوحي المقدس على فم بولس الرسول بالقول: «إذ سبق فعيَّننا للتبني بيسوع المسيح لنفسه **حسب مسرَّة مشيئته**» (أف ١:٥). إلى هذا الحدِّ بلغ إلحاح الله أن نتراءى أمامه كأولاد أو كبنين "لمسرة مشيئته" أو مسرة نفسه. هذه المسرة التي تبلغ أوَجها عندما نسمع أن الله طالِبٌ هؤلاء البنين بحال السجود أمامه بالروح والحق، هذا أمر يُذهل العقل. فا لله المتعاظم

في مجده الذي تخرُّ أمامه ألوف ألوف وربوات ربوات الملائكة بالسجود والتسبيح لمجده، يتجاوز هذه الضجة العُليا ليرنو إلى الإنسان الذي استراحت أحشاؤه فيه، ويدعوه دعوةً ويطلب منه مطالبةً، أن يتراءى أمامه ليسجد أمامه بالروح والحق من أجل مسرَّة نفسه! إنَّ في هذا لعجب شديد!

ولكن من هذا نفهم كيف ولماذا يُسربلنا الله بالقداسة كما بيديه، ويرفع عنّا كل لوم في المحبة لكي نقترب إليه ونتراءى أمامه، وذلك لنكمِّل مسرة مشيئته فينا!! وبهذا الأمر تستريح نفوسنا جداً، لأنه كيف ومن أين نكتسب قداسة وبلا لوم في المحبة لنقف أمام الله؟ ولكن الله الذي يعرف ما يطلبه، كما يعرف ما هو واقع حالنا الترابي، سبق فغرس في أصل صورة خلقته الأولى للإنسان هذه "القداسة وبلا لوم في المحبة"، حسب قوله: «**المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق**» (أف ٤: ٢٤) كطبيعة نفخر بها أمام ملائكة الله.

هذا كله يُحتِّم علينا ويُلزمنا إلزاماً أن نعيد تفكيرنا وعقيدتنا عن الصلاة، والاقتراب إلى الله والترائي أمامه، والسجود له بالروح والحق بإنساننا الجديد، بعد أن اكتشفنا أنها هي مسرَّة الله، والله نفسه هو الداعي إليها، والمطالِب بها لنفسه هو! «حسب مسرَّة مشيئته».

هذا يجعل من الاقتراب إلى الله والترائي أمامه والسجود له بالروح والحق عملاً مُلحًّا لحساب الله ولمسرة نفسه، لا يكون إلى لحظات؛ بل ينبغي أن تُكرَّس له الحياة والسنون والعمر كله، لأن هذا يسرّ قلب الله! إذ تصبح الساعات والصلوات هي في الحقيقة أعمالاً نكمِّل بها رضا الله بعودة الأولاد كل حين إلى صدر أبيهم يسعدون به ويسعد بهم! «دَعُوا الأولاد يأتون إليَّ ولا تمنعوهم... إن ملائكتهم في السموات كل حين ينظرون وجه أبي الذي في السموات.» (مت ١٩: ١٤؛ ١٨: ١٠)

كما أن هذا يجعل تقصيرنا في الاقتراب إلى الله، خشيةً منه، أو خجلاً منّا، أو بداعٍ كاذب من الخطية وعدم الاستحقاق؛ تصبح كلها أعذاراً مخترعة ليست من الله، ولا هي من مشيئة الله، ولا تمتُّ إلى واقع عمله وتقديسه لنا بصلة؛ بل هي مماحكات الإنسان العتيق الهارب من وجه الله غشًّا وزوراً وخداعاً، لأن الإنسان الجديد فيه يصرخ طالباً وجه الله! حيث يُحسب غياب الإنسان عن الله كغياب ابن طال به الضلال، وكأنه بعينه غياب المحبة البنوية عن قلب الأب وقسوة الابن الجاهل ضد مشاعر الأُبوَّة في التمادي بزيادة الضلال والبعاد عن قلب الأب الراجي عودة الابن الصغير إليه كل حين.

هذا يكشف أمامنا قوة كفاءة الخلقة الجديدة للإنسان من جهة تجهيزها بمؤهِّلات الوقوف أمام الله حسب قول الآية: «المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق» (أف ٤: ٢٤)، للترائي أمامه والسجود له بالروح والحق، والذي هو بحد ذاته أساس العلاقة الخاصة جداً التي تربط الإنسان الجديد بالله، علاقة تقوم على تمكين الخليقة الجديدة من إمكانيات القداسة وعدم اللوم في المحبة لتجعلها بحال الاستعداد الدائم للوقوف أمام الله للتسبيح ومدح مجد نعمته التي أنعم بها علينا في المحبوب لتكميل مسرَّة مشيئته!

ومن هذا نفهم لماذا ترتاح النفس التي بدأتْ تعرف طريقها إلى الصلاة؛ لماذا هذه الفرحة والسعادة التي تغمر القلب في وقفته أمام الله والسجود أمامه، وكأن موجة من المسرَّة السريَّة تجتاح النفس وتزداد بزيادة التعمُّق في الصلاة والاستمرار في الوجود والترائي أمامه؟ إذ يكون في ذلك مسرَّة لمشيئة الله، يرتد صداها على النفس، فتغمرها مسرَّة الله الآب وهي لا تدري مصدرها، مع أن الإنسان لا يقدِّم شيئاً ولا يرى في نفسه أي استحقاق للوجود أمام الله. فمن أين هذه السعادة والغبطة الطاغية على النفس؟ ولكنها هي مسرَّة المشيئة العلوية، ارتدَّت على النفس فاحتوتها في حنو الأُبوَّة الفائق!

ثم أليس هذا معناه أن الإنسان الجديد، أو أن الخليقة الجديدة للإنسان في المسيح يسوع، خُلِقت بكفاءتها الروحية العالية لتبقى مع الله دائماً، الأمر الذي نُمارِس عربونه الآن في هيئة علاقة سجود وعبادة وترائي أمام الله بالقداسة بلا لوم في المحبة إلى لحظات، كعربون لشركة حقيقية مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح، نُمارِسها اليوم بالصلاة والسجود؟

بهذا ينكشف لنا سر إلحاح المسيح على ضرورة الصلاة التي أكمل نموذجها البديع بالذهاب إلى الجبال للصلاة طول الليل! فـ "اللحظة" عندنا في الصلاة، عبَّر عنها المسيح بـ "طول الليل في الصلاة"، ليوضِّح لنا مدى الإمكانية الموهوبة لنا فيه! فحينما طلب أن "نُصلِّي كل حين"، فمعناه أن نجعل اللحظة لحظات في اختبار وقوفنا أمام الله؛ وحينما قال: "صلُّوا ولا تملّوا" (انظر لو ١٨: ١)، فالقصد هو أن يربط اللحظات معاً لنتذوَّق فيها معنى الشركة وبركاتها؛ وحينما أعطى مثلاً لكيفية الصلاة بلجاجة، فهو يفتح أمامنا الدخول بجراءة لننال الاستجابة؛ وحينما تحدَّث عن الصلاة بصراخ، كشف عن حرارة الروح حينما تخرج عن الحدود.

وبهذه الأمثلة، رسم المسيح صوراً للنفس البشرية في حال تلاقيها مع الله، وهي تحاول أن تغلب ذاتها لتدوم في وجودها أمام الله رغم كل عائق، لتكمِّل مسرَّتها أو بالحري مسرَّة الله، لأن لنا في هذا تكميلاً للشركة مع الآب وابنه يسوع المسيح ليكمل فرحنا ومسرَّة الآب بنا.

"لنكون قدِّيسين وبلا لوم قدَّامه في المحبة":

"في المحبة":

هكذا وضع الله في صميم خلقتنا أعزَّ عنصر عنده، لأن بهذا العنصر الإلهي يشدّ الله خليقة الإنسان إليه ويربطها بنفسه، دون أن يدري الإنسان، فيصبح

وقوف الإنسان أمام الله هو "في المحبة". أما القداسة وبلا لوم، فتحتويها المحبة الإلهية المغروسة في طبيعة الإنسان الجديد كغريزة روحية. وكم نشكر الله ونحمده على هذه النعمة العجيبة والفريدة، أن يجعل في طبيعة الإنسان المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق، غريزة المحبة الإلهية عاملة فيه بدفعٍ سريٍّ من الله، وليس كاجتهاد من قِبَل الإنسان. هكذا يصبح الإنسان الروحي في تقدُّمه إلى الله منعطفاً بشدة نحو الله بالحب العامل في كيانه دون أن يدري، ولكن بعلامات واضحة صارخة حينما يلتهب قلب الإنسان في الصلاة والترائي أمام الله التهاباً يُخرجه عن وعيه، بصراخ ودموع لا يفهمها ولا يعرف مصدرها أو سببها. ولكن هي يقظة المحبة الإلهية المغروسة في القلب لم تستطع أن تعبِّر عن نفسها بالكلام فلجأت إلى الصراخ والدموع كانفعالات للتعبير عن الفرح الطاغي الذي غمر النفس كردِّ فعلٍ لاستعلان أُبوَّة الله حينما يتقابل حب الابن مع حب الآب بلا مانع. تلك هي لحظة التقابل والترائي الحي أمام الله: «بهذا **أُظْهِرَتْ محبة الله فينا**، أن الله قد أرسل ابنه الوحيد إلى العالم **لكي نحيا به. في هذا هي المحبة**، ليس أننا نحن أحببنا الله، **بل أنه هو أحبنا**، وأرسل ابنه كفَّارة لخطايانا» (١يو ٤: ٩و١٠)، «المحبة هي من الله.» (١يو ٤: ٧)

بهذا نتأكَّد أن اقترابنا من الله، ووقوفنا أمامه، وسجودنا وحبَّنا؛ هذا كله لم يتركه الله ليكون مبادرة خالصة من جهتنا، لأن هذا صعب وممتنع علينا بكل تأكيد، لأننا اختبرنا كيف أنه في حالة التراخي وغياب الروح، كم يكلِّفنا الاقتراب من الله بالصلاة والسجود من مشقة، وكأننا نقف ضد أنفسنا لنكمِّل صلاتنا وسجودنا، وتظل النفس تُقاوِم في محاولتها للهرب من الصلاة وعزوفها عن الوقوف أمام الله. ولكن عندما تبدأ الخليقة الجديدة فينا تمارس وجودها، ويستيقظ الإنسان الجديد الروحي ويبدأ نشاطه وعمله، نجد أن رهبة التقدُّم إلى الله قد زالت في الحال، والتهرُّب من الصلاة توقَّف فجأة، وحلَّ محل هذا وذاك

ميل شديد نحو الصلاة، وكأن قوة هائلة تدفعنا للاستمرار في الصلاة والسجود. هذه هي محبة الله فينا.

وإذا ما غاب الإنسان عن الصلاة لطارئ أقعده لفترة بعيداً عن الصلاة، يحس أن صوتاً يُناديه ـ هذه هي محبة الله فينا ـ كما يحس بانعطاف داخلي يجذبه بشدة للعودة إلى الله ـ هذا كله هو جذب محبة الله فينا ـ وإذا عاد الإنسان ليقف أمام الله يحس وكأن الله كان واقفاً بانتظاره، وهكذا يستأنف صلاته بلهفة ويُمارِس سجوده وتقديم حبه إلى الله كابن غاب عن أبيه ويلقاه أخيراً، فيرتمي في أحضانه.

من هذا يتبيَّن أن عنصر الحب الإلهي المنغرس في نفس الإنسان الجديد هو العامل الأساسي في العلاقة التي تربط الإنسان بالله. فإذا غاب هذا العنصر بطغيان الجسد العتيق، أصبح الوقوف أمام الله للصلاة أو السجود أو حتى الحديث، مشقَّة تحتاج إلى صراع مرير يخرج منه الإنسان مغلوباً، إذ يختصر الصلاة معتذراً بأعذار وهمية كلها كاذبة لا وجود لها ليتهرَّب من الوقوف أمام الله!

وبهذا تنكشف المحبة أنها العنصر الإلهي الذي غرسه الله في طبيعة الإنسان الجديد أصلاً، لكي حينما يأخذ هذا العنصر المبارك في النهاية أقصى عمله وقوته وتُستعلن مواهبه، فحينئذ سيأخذ الإنسان وجوده الدائم مع الله في علاقة أبدية لتسبيح يدوم في رابطة حب أبدي.

ويعطينا المسيح صورة عالية جداً وعجيبة عن هذا الحب الأبوي الذي يربط الإنسان بالله هكذا: «أيها الآب البار، إن العالم لم يعرفك، أما أنا فعرفتُك، وهؤلاء عرفوا أنك أنت أرسلتني. وعرَّفتُهم اسمَك وسأُعرِّفهم، **ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به، وأكون أنا فيهم**» (يو ١٧: ٢٥و٢٦). هذا ما لا يستطيع الإنسان أن يتصوَّره، أن الله الآب يعطينا من محبته للابن التي هي أقدس ما في علاقة الآب بالابن.

"... قدِّيسين وبلا لوم":

واضح أننا قدَّمنا عنصر "المحبة" على القول: "قدِّيسين وبلا لوم"، لأن المعنى يقتضي ذلك، وأيضاً الواقع العملي. فأنْ نكون "قديسين وبلا لوم" بدون المحبة، فهذا لا يؤهِّل إلى الاقتراب والتواجد أمام الله، لأن عنصر المحبة هو القطب الجاذب للنفس البشرية ويُحرِّكها بل ويجذبها بدالة إلى مَنْ تحبُّه. لذلك، ومن واقع التركيب اللفظي، فـ "القداسة وبلا لوم" هي هنا صفات تتبع المحبة: «... قدِّيسين وبلا لوم... في المحبة»!

أما معنى **قداسة المحبة**، فهي انحصارها في الله وحده. وقد أعطى المسيح مفهوماً أن تكون المحبة لله وحده - أي مقدَّسة له - بأن تكون من كل القلب وكل النفس وكل الفكر، فلا يتبقَّى للقلب أو النفس أو الفكر حب آخر لأي أحد أو أي شيء آخر إلاَّ لله وحده. هنا تختفي من قلب الإنسان محبة الشهوات التي للجسد والعالم، وتخمد من النفس حركات الانعطاف بالحب النفساني نحو النفوس الأخرى مهما كانت. وأخيراً، تبطل الأفكار والتصوُّرات التي يغواها الإنسان وينشغل بها الليل والنهار بعيداً عن الله. وبهذا تتقدَّس المحبة من كل القلب والنفس والفكر لله وحده، حيث ينال الإنسان دالة الوقوف أمام الله كابن خاص لأبيه!

أما قوله: "بلا لوم"، فاللوم هنا هو لوم الضمير - المستمد من لوم الناموس - والضمير هنا هو الذي يمثِّل صوت الله داخل الإنسان كشاهد لناموس الله من داخل الإنسان، وكرقيب على كل أعمال الإنسان وأحواله وتصرُّفاته، وهو الذي يوحي للإنسان إن كان يمكنه أن يقف أمام الله ويسجد ويصلِّي، أو لا يمكن، لأسباب يعرفها الضمير ويقف حائلاً ضد الإنسان إنْ هو اقترب من الله. هذا الضمير أعطاه الله شاهداً يحكم على الإنسان من داخل الإنسان ذاته، إن كان مؤهَّلاً أو غير مؤهَّلٍ للوقوف أمام الله للصلاة

والسجود. فمتى ارتفع من الضمير سبب الملامة، وبالحري الملامة كلّها، وحلَّ ما يشجِّع الضمير على الوقوف أمام الله، أصبح الإنسان لا يعيقه شيء من داخله عن الوقوف للصلاة أمام الله.

غير أنه من واقع خبرة الإنسان في كل حياته على الأرض، فإنَّ كل إنسان مهما ذاع صيته وذاعت قداسته، لم يؤتَ ضميراً بلا لوم على الإطلاق. فكل قديس مهما علت قداسته وُجِد بالنهاية قارعاً صدره معترفاً بعدم استحقاقه للوقوف أمام الله بلا لوم. إلى أن جاء المسيح وحَمَلَ خطايا وعجز وقصور الإنسان من كل نوع، وكفَّر عنها بذبيحة نفسه، فطهَّر الإنسان نفساً وجسداً وروحاً، وطهَّر ضمير الإنسان من كل لوم ومن كل الأعمال الميِّتة: «فكم بالحري يكون دم المسيح، الذي بروح أزلي قدَّم نفسه لله **بلا عيب**، يُطهِّر ضمائركم من أعمال ميِّتة لتخدموا الله الحي» (عب ٩: ١٤). كذلك حينما يقول الوحي إننا مخلوقون على صورة الله في البر وقداسة الحق، يكون "البر" هنا معناه: رفع كل الملامة عن الإنسان، لأن البار هو حتماً بلا لوم أمام الله. وهكذا بخلقتنا الجديدة انزاح عنَّا لوم الضمير ولوم الناموس إلى الأبد، لنقف أمام الله بلا قلق نُمارِس الحب والصلاة والقُرْبى. فعِوَض اللوم، غرس الله فينا الدالة وحبَّه الأبوي.

"... قدِّيسين وبلا لوم قدَّامه":

"قدَّامه":

أي أمامه. إنَّ أحرج الأعمال التي أُعطِيَ للإنسان أن يعملها في حياته على الأرض، أن يتراءى أمام الله. فهيبة رؤية الله تزلزل كيان الإنسان، بل وكيان أي خليقة روحانية مهما بلغ سموها. فإشعياء النبي يذكر خبرةً جازها في رؤيا توضِّح معنى الوجود أمام الله أو هيبة حضرته:

+ «في سنة وفاة عُزِّيَّا الملك، رأيتُ السيد جالساً على كرسيٍّ عالٍ ومرتفع وأذياله تملأ الهيكل. السَّرافيم واقفون فوقه لكل واحد ستة أجنحةٍ: باثنين يُغطِّي وجهه، وباثنين يُغطِّي رجليه، وباثنين يطير. وهذا نادى ذاك وقال: قدوس قدوس قدوس ربُّ الجنود، مجده ملء كل الأرض. فاهتزَّت أساسات العَتَبِ من صوت الصارخ وامتلأ البيت دُخاناً. فقلتُ: ويلٌ لي إني هلكت، لأني إنسان نجس الشفتين، وأنا ساكنٌ بين شعب نجس الشفتين، لأن عينيَّ قد رأتا الملك رب الجنود.» (إش ٦: ١-٥)

وبعد تجربة إشعياء، فمَنْ ذا الذي يستهتر بالاقتراب من الله والتراثي أمامه ورؤياه؟ ولكن بالرغم من كل ذلك، خلق الله الإنسان وفي صميم طبيعته القداسة وأن يكون بلا لوم في المحبة، كتأهيلٍ له ليقف أمام الله! وقد سمعنا من فم المسيح أن الله بناءً على مؤهِّلات الطبيعة الجديدة التي وهبها للإنسان، يطلب الساجدين أمامه بالروح والحق. إذن، فالله أهَّلنا بالقداسة وأن نكون بلا لوم في المحبة للوقوف والتراثي أمامه، وطالبنا بالسجود له، إذ رفع عن الإنسان رُعبة الوقوف أمامه، وأعفاه من رهبة هيبته، لكي يستطيع الإنسان أن يقترب إليه ويُمارِس حبه وعواطفه كابن من نحو الله كآب. وبآنٍ واحدٍ، تكمل لمشيئة الله المسرَّةَ ببنوَّة الإنسان في المسيح.

ولنا من خبرتنا في ممارستنا لدالة المحبة البنوية أمام الله حينما ندخل إليه بالصلاة مفعمين بمشاعر المحبة، ما يبدِّد كل رهبة أو خوف من التراثي أمام الله للدرجة التي إن غبنا كثيراً عن وقفة الصلاة أمامه يلتهب قلبنا بالحنين إلى العودة للوقوف أمامه، وتشدُّنا محبته للمثول أمامه بإحساس العوز إلى المحبة التي نشتاق أن تستكمل ذاتها بالوجود أمامه والإحساس به. فطالما نحن بدون صلاة بعيداً عن الوقوف أمامه، نشعر وكأن المحبة فينا عاطلة ونُعاني نقصاً في كياننا لا يكتمل إلاَّ بالوجود في حضرة الله. وفي الأيام التي ينشط فيها الإنسان الجديد، تخطفنا مرات عديدة حرارة

مفاجئة تدفعنا دفعاً لنقف أمام ا لله في الصلاة، وربما تعاودنا عـدَّة مرَّات في السـاعة الواحدة ولا نبلغ أبداً حدَّ الشبع.

واضح هنا معاناة الإنسان الجديد في تغرُّبه عن ا لله من جرَّاء سبي الزمن في العالم الحاضر والجسد العتيق الذي يعرقل حركات الروح ويبدِّد حرارة المحبة. ولكن لنا في تواتر المرات التي يُنعم بها ا لله علينا بالوقوف أمامه في صلاة وسجود بالروح والحق، واغترافنا من محبته بلا شبع؛ تعويضاً يُنسينا ألم الغربة.

كلمة في الختام:

سألني صديق: أنا أريد منك بحق الصداقة، قل لي في كلمة واحدة: ما هو الإنسان الجديد؟

قلت له: "القيامة".

فنحن متنا مع المسيح بخطايانا وأخذنا معه اللعنة علـى الصليب، فكملت علينا العقوبة التي باشتراكه معنا فيها كملت على كل مَنْ يؤمن بالمسيح، ثم قمنا معه بقيامته وقد سقطت عنا عقوبة الموت واللعنة، ونلنا معه وفي جسده القائم من الموت جسد الإنسان الجديد الذي نحيا به مع المسيح أمام ا لله إلى الأبد. فجسد الإنسان الجديد هو جسد القيامة من بين الأموات: «إن كنتم قد قُمْتُم مع المسيح فاطلبوا ما فوق...» (كو ٣:١)، «وأقامنا معه، وأجلسنا معه في السماويَّات» (أف ٢:٦)، «ونحن أمواتٌ بالخطايا أحيانا مع المسيح.» (أف ٢:٥)

(فبراير ١٩٩٧)

يُطلب من:

دار مجلة مرقس

القاهرة: ٥٠ «أ» شارع شبرا ـ ت ٧٧٠٦١٤

الإسكندرية: ١٣ شارع الشهداء ـ المنشية ـ ت ٤٨٤٠١١٠

- طبيعة الإنسان الجديد هي من طبيعة المسيح القائم من بين الأموات، روحانية مبرَّرة مؤهَّلة لشركة الحياة الجديدة مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح؛ وإذا تنشَّطت بالإنجيل والصلاة، فإنها تؤهَّل للانفتاح لإدراك أسرار الكلمة والإحساس بالحق ومعرفة أسرار الله ومقاصده.
- وهذه الطبيعة مؤهَّلة بالنعمة التي فيها أن تكون هيكلاً حقيقياً للروح القدس، يسكن فيها ويقودها ويرتاح فيها ويعلِّمها ويكشف لها حقائق المسيح حسب وعد المسيح. وهي مؤهَّلة للرؤى والمناظر والإعلانات عن غير استعداد منها ولا إعداد، بل هي مواهب ممنوحة بلا كيل. وهي التي رآها القديس بولس أنها المؤهَّلة لتكون أعضاءً في جسد المسيح، وهي بالفعل التي تتزيَّن بها الكنيسة في أشخاص أبرارها وقديسيها على ممر الدهور.



الثمن ٤ جنيهات